دراسة تحليلية لمفهوم الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن

الدكتور/ طه عابدين طه

قسم الدراسات القرآنية ــ كلية المعلمين بحائل

المقدمة :

الحمدلله القائل : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝ قَيِّمًا ﴾[الكهف ١-٢] ، والقائل: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝ ﴾ [القمر ١٧] ، والصلاة والسلام على المنزل عليه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝ ﴾[القيامة ١٦-١٩] ، وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا إلينا هذا القرآن غضًّا طريًّا كما أنزل . أما بعد : فهذه عناصر المقدمة :

دواعي البحث :

دفعني لدراسة هذا الموضوع أمور عديدة أبرزها ما يلي :

١- أهمية هذا الموضوع وخطورته ؛ وذلك لارتباطه وتعلقه بالقرآن الكريم الذي هو مصدر الهداية واليقين للمؤمن في عقيدته ودينه .

٢- كثرة الأحاديث الواردة في هذا الموضوع تدفع الإنسان لتلمس الهداية من خلالها، ورد كل الأقوال إليها .

٣- الكثير من الكتابات المعاصرة ؛ التي وقفت عليها لم تشف غليلي في تحديد مفهوم الأحرف السبعة ، فبعضها لم يعالج الموضوع وفق الأدلة بصورة دقيقة ، أو استرسلت في تتبع الخلاف ؛ حتى أصبح بعضها يصعب على الإنسان التوصل منها إلى نتيجة ، والكتابات القديمة نادرة كتبها ، ومتناثر دررها ، صعبة ألفاظها، بعيدة عن منهج البحث الحديث الذي يقوم على التبسيط ، والترتيب ، والتقريب

للمعاني بألفاظ موجزة ، وهي كذلك استرسلت في ذكر الأقوال المختلفة التي أوصلها بعضهم إلى خمسة وثلاثين قولاً .

٤- ظلت حقائق هذا الموضوع أسئلة حائرة يبحث القارئ عن إجابات عنها ، من ذلك معنى الأحرف السبعة ، وهل هي موجودة أم اندثرت ؟ وما الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف؟ ونحو ذلك ، فكانت رغبتي أن أعرض ما توصلت إليه من نتائج ؛ بعد طول بحث واستقراء لعدة سنوات ؛ لعلها تسهم في تحقيق شيء من ذلك ؛ راجياً أن أكون قد وفِّقتُ إلى الحق والصواب ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

مشكلة البحث :

موضوع الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم ؛ من الموضوعات العظيمة والدقيقة التي كثر فيها الخلاف ، وتشعَّبت فيها الآراء ؛ مما جعله شائكاً غامضاً في أذهان الكثيرين من طلبة العلم فضلاً عن غيرهم ؛ على الرغم من صحة روايات الحديث الواردة في هذا الموضوع وكثرتها ؛ حتى بلغت درجة التواتر ؛ إلا أنَّ ما فيها من إجمال ، وما يحتمله اللفظ من تأويلات جعل فهمها يستعصي على النَّاس حتى بعض العلماء ؛ فلاذوا بالفرار من الجزم فيه بشيء محدد ـ ولعل ذلك كان ورعاً منهم من القول على الله بغير علم ـ كما ذكر ذلك محمد بن سعدان الكوفي النحوي المقرئ ـ رحمه الله ـ (ت : ٢٣١ هـ) إذ يقول: « معنى قول النبي ﷺ : " أنزل القرآن على سبعة أحرف " مشكل لا يدرى معناه »[1] ، وبعد أنّ عالج السيوطي ـ رحمه الله ـ (ت :

---

(١) المرشد الوجيز إلى مباحث تتعلق بالكتاب العزيز لأبي شامة المقدسي ص٣ ، ط: دار صادر ، بيروت.

٩١١ هـــ) أطراف هذا الموضوع في كتابه الإتقان ، وسرد معظم الأقوال ، وعلّق على بعضها قال في كتابه "شرح سنن النسائي عند شرحه الحـــديث" : « إنَّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف » ، والمراد به أكثر من ثلاثين قـــولاً حكيتها في الإتقان ، والمختار عندي أنّه من المتشابه الذي لا يدرى تأويله »[(١)]
فهذا الذي جعل هذا الموضوع محط العناية عند علماء الدراسات القرآنية ؛ لأنّه كان من الضروري كشف ما يستطاع الوصول إليه مـــن معـــان في مفهـــوم الأحرف السبعة ، والخروج برأي مقنع من وسط تلك الخلافات الشديدة .

أسئلة البحث :

١-ما الأدلة التي تثبت نزول القرآن الكريم على سبعة أحـــرف ؟ ومـــا دلالاتها في فهم مفهوم الأحرف السبعة ؟

٢-ما أشهر الأقوال في معنى الأحرف السبعة ؟ وما الراجح منها ؟

٣-متى كان نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ؟ وهل هي موجـــودة اليوم في المصاحف ؟

٤-ما الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف ؟

أهداف الدراسة :

من خلال الإجابة عن أسئلة البحث يمكن تحقيق الأهداف التالية :

١-الوقوف على الأدلة التي توضِّح نزول القرآن على سبعة أحرف ، وأبرز ما فيها من فوائد تساعد على فهم المراد بالأحرف السبعة .

٢-الوقوف على أشهر الأقوال التي ذكرها العلماء في معنى الأحرف السبعة، والراجح منها .

---

(١) شرح سنن النسائي للحافظ جلال الدين السيوطي ٢ / ١٥٣ ، ط : دار الفكر ، بيروت .

٣-معرفة بداية نزول الأحرف السبعة ، ووجودها اليوم في المصاحف ؛ مع توضيح الحرف الذي عليه الناس اليوم .

٤-معرفة الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف .

حدود الدراسة :

تقتصر هذه الدراسة على تحديد فقه معنى الأحرف السبعة ، وما يتعلق به من جوانب مختلفة من خلال الأدلة الشرعية ، وأقوال أهل العلم .

منهج البحث وأداته :

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستنباطي ، وكانت أداته تحليل المحتوى لما جاء في السنة من الأحاديث ذات الصلة بالموضوع ، والكتابات التي سطّرها علماء التفسير ، والحديث ، والفقه ، وبعض الدراسات الحديثة التي اعتنت بهذا الموضوع بغية الوصول إلى أهداف البحث .

الدراسات السابقة :

الغموض الذي استعصى فهمه على بعض العلماء في موضوع الأحرف السبعة ؛ دفع كبار المحققين أن يعتنوا بهذا الموضوع بحثاً وتأليفاً ؛ ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ـ رحمه الله ـ (ت: ٢٢٤هـ) في كتابه " غريب الحديث " ، وأبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ـ رحمه الله ـ (ت : ٢٧٦هـ) في كتابه " تأويل مشكل القرآن " ، وأبو جعفر محمد بن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ (ت : ٣١٠هـ) في مقدمة تفسيره، ومكي بن أبي طالب ـ رحمه الله ـ (ت : ٤٣٧هـ) في كتابه "الإبانة عن معاني القراءات القرآنية " ، وشهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي ـ رحمه الله ـ (ت : ٦٦٦ هـ) في كتابه " المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز " ، كما قد أفرده

بالتأليف عدد من العلماء المعاصرين منهم : الشيخ محمد بخيت ، ود . حسن ضياء الدين عتر ، والشيخ مناع القطان ، ود. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ، ود . عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، وغيرهم كثير ممن كتبوا في هذا الموضوع ، وقد كتب كل واحد منهم وحقّق وفنّد الأقوال والآراء على حسب ما رأى ورجح عنده ، وقد تميزت هذه الدراسة بما يلي :

١-معالجة الموضوع وفق منهج الدليل؛ بجعل الروايات التي وردت في مفهوم الأحرف السبعة هي أساس الدراسة ، وشواهدها هي الميزان الذي توزن به كل الأقوال التي ذكرت في مفهوم الأحرف السبعة ، فقبلت ما توافق معها ، وردت ما ابتعد عن دلالاتها .

٢-السهولة واليسر في معالجة الموضوع بمسلك قريب مذلّل ، وأسلوب يسهل فهمه للجميع ؛ ولذا لم أسهب في تتبع دراسة أسانيد الحديث وروايات متنه المختلفة ؛ كما فعل ذلك الإمام الطبري في مقدمة تفسيره، ود . عبد العزيز القارئ في رسالته حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده ومتنه ؛ لأنّي لم أرَ أنّ هذه هي مشكلة البحث ؛ لأنّ إسناده جاء في أصح كتب السنة ، وشواهده كلها متوافقة من حيث المعنى ، و لم أهتم بتتبع كل الأقوال التي ذكرت في مفهوم الأحرف السبعة ؛ لأنّ بعضها لم يعرف قائله ؛ وهو لا يستحق النظر والدراسة ؛ لبعده عن شواهد الأدلة ، فلم أرد أن أشوش بها ذهن القارئ ، وأشعب عليه المسألة أكثر.

٣- المناقشة العلمية الجادة ، فعلى الرغم من اختياري لأسهل العبارات ، وأوضح الجمل إلى المعاني ؛ إلا أنّي جعلت أساس هذه الدراسة العمق في التحليل ، ودقة النظر في الأقوال ؛ مع جمع منتقى أرجو أن يكون قد

حوى درر السابقين ، ومناقشة علمية أرجو أن تشفي صدور المختصين ، وتحرك همم الباحثين .

٤- جعلت عماد هذه الدراسة أقوال العلماء السابقين ، فهي تجمع دررهم المنثورة ، وتقطف ثمارهم الممدودة ، وحسبي أن أنظمها لك عقداً فريداً وأقطفها لك ثمرة نضيجة من شجر زرعه الأوائل ، فإنّي إن خالفت بعضهم فببعضهم اقتديت ، وإن رجحت قولاً فبعلمهم اهتديت .

هيكل البحث :

اشتمل هذا البحث على مقدمة ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، جاءت على النحو التالي :

المبحث الأول : أدلة الأحرف السبعة وفوائدها :

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الأدلة على نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف .

المطلب الثاني : فوائد من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف .

المبحث الثاني : أشهر الأقوال في المراد بالأحرف السبعة والراجح منها:

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أشهر الأقوال في المراد بالأحرف السبعة .

المطلب الثاني : مناقشة الأقوال التي وردت في معنى الأحرف السبعة .

المبحث الثالث: وجود الأحرف السبعة ، والحكمة من نزول القرآن عليها:

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: أقوال العلماء في وجود الأحرف السبعة اليوم في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : الحرف الذي عليه الناس اليوم في المصاحف .

المطلب الثالث : حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف .

الخاتمة : شملت أهم نتائج البحث .

فهرس المصادر والمراجع .

* * *

المبحث الأول : أدلة الأحرف السبعة وفوائدها :

المطلب الأول : الأدلة على نزول القرآن على سبعة أحرف :

حديث نزول القرآن على سبعة أحرف جاء بروايات عديدة متواترة ثابتة في كلّ كتب السنة الصحاح ، والسنن ، و المسانيد ، ومرويَّة عن واحد وعشرين صحابياً[1] تتبعها بالدراسة المتأنية الشاملة د. عبد العزيز القـــارئ في رســـالته الصغيرة الحجم ؛ الكبيرة المضمون «حديث الأحرف السبعة دراسة لإســـناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية» ، ونكتفي في هذه الدراسة بأصح الروايات من حيث السند ، وأشملها من حيث المتن ، ونتـــرك الروايات الأخرى خوف الإطالة ، والتكرار لجهود العلماء الذين أشبعوا هذه النقطة بحثاً ؛ ولأنّ ما جاء في هذه الروايات يدل عليهـــا ، ولـــيس في جميـــع الروايات التي تتبعتها في هذا البحث وغيرها رواية صريحة حاسمـــة في تحديـــد مفهوم الأحرف السبعة ، ولو وجدت لأراحتنا من طول البحث والعناء ، وما سأذكره من أدلة تكفي شواهدها للاهتداء بها ، وهي :

١- ما رواه البخاري ومسلم عن عبيد اللَّه بن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ، أَنَّ ابْـــنَ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى حَـــرْفٍ ، فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[2]. زاد مسلم : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : " بَلَغَنِي أَنَّ تِلْكَ السَّبْعَةَ الأَحْرُفَ إِنَّمَا هِيَ فِي الأَمْرِ الَّـــذِي يَكُونُ وَاحِدًا ؛ لا يَخْتَلِفُ فِي حَلالٍ وَلاحَرَامٍ " [3] .

---

(١) انظر: حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بـــالقراءات القرآنية د . عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ص٩ ، ط : دار النشر الدولي ، الرياض .

(٢) رواه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف ، ح رقم ٤٦٠٧ .

(٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب بيان أنّ القرآن على سبعة أحرف ، ح رقم ١٣٥٥ .

٢ - وروى البخاري ومسلم أيضاً ، واللفظ للبخاري عن عُرْوة بْن الزُّبَيْر أَنَّ الْمسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَبْد الْقَارِيَّ حَدَّثَاهُ ، أَنَّهُمَا سَمعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب يَقُولُ : سَمعْتُ هشَامَ بْنَ حَكيمِ بْنِ حزَام يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ في حَيَاة رَسُولِ اللَّه ﷺ ، فَاسْتَمَعْتُ لقرَاءَته فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوف كَثيرَة لَمْ يُقْرِئْنيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فَكِدْتُ أُسَاوِرُهُ في الصَّلاة ، فَتَصَبَّرْتُ حَتَّى سَلَّمَ ، فَلَبَّبْتُهُ برِدَائه ، فَقُلْتُ : مَنْ أَقْرَأَكَ هَذه السُّورَةَ الَّتي سَمعْتُكَ تَقْرَأُ ؟ قَالَ : أَقْرَأَنيهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ ، فَقُلْتُ : كَذَبْتَ[1] ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَدْ أَقْرَأَنيهَا عَلَى غَيْر مَا قَرَأْتَ ، فَانْطَلَقْتُ به أَقُودُهُ إِلَى رَسُول اللَّه ﷺ ، فَقُلْتُ : إِنِّي سَمعْتُ هَذَا يَقْرَأُ بسُورَة الْفُرْقَان عَلَى حُرُوف لَمْ تُقْرِئْنيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « أَرْسِلْهُ ، اقْرَأْ يَا هشَامُ » ، فَقَرَأَ عَلَيْه الْقرَاءَةَ الَّتي سَمعْتُهُ يَقْرَأُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «كَذَلكَ أُنْزِلَت» ، ثُمَّ قَالَ : « اقْرَأْ يَا عُمَرُ » ، فَقَرَأْتُ الْقرَاءَةَ الَّتي أَقْرَأَني ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «كَذَلكَ أُنْزِلَتْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ منْهُ »[2] .

٣- وروى مسلم عَنْ أُبَيِّ بْن كَعْب ﷺ قَالَ : « كُنْتُ في الْمَسْجد فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قرَاءَةً سوَى قرَاءَة صَاحبه ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَميعًا عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ فَقُلْتُ : إِنَّ هَذَا

---

(١) فعل عمر ذلك ظناً منه أن هشاماً خالف الصواب ؛ وذلك لرسوخ قدمه في الإسلام وسابقته ؛ لأنَّ هشاماً ابن حكيم أسلم يوم فتح مكة، والمراد بقوله كذبت أي: أخطأت ؛ لأنَّ أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ ، انظر : فتح الباري ٩ / ٣٣ ، ط : دار السلام ، الرياض .

(٢) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، ح رقم٤٦٠٨، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، ح رقم١٣٥٤ .

قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْه ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَة صَاحِبه ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّه ﷺ فقَرَآ فحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا ، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنْ التَّكْذيبِ ولا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهلِيَّة ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّه ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي ضَرَبَ فِي صَدْرِي فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا ، فَقَالَ لِي : « يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنْ اقْرَأْ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْف ، فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْن ، فَرَدَدْتُ إِلَيْه أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي ، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّة رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا ، فَقُلْتُ: « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي ، وَأَخَّرْتُ الثَّالثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ »[1].

٤ - وروى مسلم ، والنسائي ، وأبو داود ، وأحمد واللفظ لمسلم عَنْ أُبَيِّ ابْنِ كَعْب ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ عنْدَ أَضَاة بَنِي غفَار[2]، قَالَ: فَأَتَاهُ جبْرِيلُ عليه السلام فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْف . فَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلكَ ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاثَة أَحْرُف . فَقَالَ : أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلكَ ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَةَ فَقَالَ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَة أَحْرُف فَأَيُّمَا حَرْف قَرَءُوا عَلَيْه فَقَدْ أَصَابُوا »[3] .

---

(١) مسلم كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ح رقم١٣٥٦.

(٢) الأضاة : هي الماء المستنقع كالغدير ، وهي موضع بالمدينة النبوية ، وينسب إلى بني غفار ؛ لأنهم نزلوا عنده ، فتح الباري ٩ / ٣٦.

(٣) مسلم كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه ، ح رقم ١٣٥٧ ، والنسائي ، ح رقم ٩٣٠ ، وأبي داود ح رقم١٢٦٣، وأحمد ح رقم ٢٠٢٣٨ ، ٢٠٢٤٠.

٥- وجاء في رواية عن الإمام أحمد عَنْ أُبَيٍّ قَالَ:لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جِبْرِيلُ عليه السلام عِنْدَ أَحْجَارِ الْمِرَاءِ[1]،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السلام:« إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ فِيهِمْ الشَّيْخُ الْعَاصِي[2]، وَالْعَجُوزَةُ الْكَبِيرَةُ ، وَالْغُلامُ ،قَالَ : «فَمُرْهُمْ فَلْيَقْرَءُوا الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[3] ، و في رواية الترمذي قال : « يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ ؛ مِنْهُمْ الْعَجُوزُ ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْغُلامُ وَالْجَارِيَةُ ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ»، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ »[4] ، وفي لفظ « فمن قرأ بحرف منها فهو كما قرأ » .

٦- وروى الإمام أحمد بسنده عَنْ أَبِي قَيْسٍ مَوْلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :« نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، عَلَى أَيِّ حَرْفٍ قَرَأْتُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ ، فَلا تَتَمَارَوْا فِيهِ فَإِنَّ الْمِرَاءَ[5] فِيهِ كُفْرٌ »[6] ، وهنالك أحاديث أخرى كثيرة أغلبها بالمعنى نفسه ، استقرأ معظمها ابن جرير

---

(١) أحجار المراء بكسر الميم وفتح الراء موضع بقباء ، انظر: النهاية لابن الأثير ١ / ٢٠٣.

(٢) العاصي من عصا ، وعاص ، وعصي إذا لم يطعه، واستعصى عليه الشيء اشتد كأنه من العصيان ، انظر لسان العرب لابن منظور مادة (عصا) ١٥ / ٦٧ ، ط : دار صادر ــ بيروت .

(٣) رواه أحمد ح رقم ٢٠٢٥٩ ، ٢٢٣٠٨ ، ٢٢٣٥٠ ، بإسناد صحيح .

(٤) رواه الترمذي ح رقم ١٩٣٤. وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

(٥) المراء: بمعنى المماراة والجدال ، وفي التنزيل﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ (الكهف: من الآية٢٢) والمراد منه أيضاً الامتراء والشك ، انظر : لسان العرب لابن منظور ١٥ / ٢٧٨.

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند ح رقم ٧٥١٢ ، والطبري في مقدمة تفسيره ٩/١ ، ط: دار الفكر، بيروت، وابن كثير في كتابه فضائل القرآن، تحقيق أبي إسحاق الجويني ص١١٧، وقال إسناد صحيح، ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧ /١٥١ ــ ١٥٤ ، ط : دار الفكر، بيروت ، وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن، انظر: الفتح ٣٤/٩ .

في مقدمة تفسيره ، وذكر السيوطي في الإتقان أنّها رويت عن واحد وعشرين صحابياً ، وقد نص أبو عبيد القاسم بن سلام على تواتر نزول القرآن على سبعة أحرف[1] .

المطلب الثاني : فوائد من أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف :

إنّ الناظر المتدبر لتلك الأحاديث السابقة يستطيع أن يخرج بفوائد ودلالات مهمة تكون بمثابة منارات هدى ، ومعالم إرشاد ؛ ترشده إلى الحق والصواب في بيان معنى الأحرف السبعة ، ونستطيع أن نخرج منها بموازين ثابتة وواضحة نحاكم إليها كل ما قيل في معنى الأحرف السبعة ؛ بأخذ الراجح منها ، ورد كل ما جاء مخالفاً لدلالات هذه الأحاديث الصحيحة .

الفائدة الأولى : أنّ الأحرف السبعة كلها على اختلافها هي كلام الله ؛ لا مدخل للبشر فيها ؛ بل كلها منزلة من عنده سبحانه وتعالى ؛ يدل على ذلك قول عمر ﷺ في قصته مع هشام ﷺ في الحديث : « فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » ، وقول هشام لعمر رضي الله عنهما : «أَقْرَأَنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » ، وقوله ﷺ لهما : « كَذَلِكَ أُنْزِلَت » ، وقول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » ، وطلب النبي ﷺ من جبريل عليه السلام التخفيف .

قال ابن حجر - رحمه الله - (ت:٨٥٢هـ): «إنّ الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي أي أنّ كل واحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته بل المراعى في ذلك السماع عن النبي ﷺ»[2] ، وقد قال - تعالى- : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

---

(١) انظر: الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١٦٣/١، ط : مكتبة مصطفى الباز، مكة.

(٢) فتح الباري ٣٥/٩.

﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء ١٩٢-١٩٥] .

الفائدة الثانية : أنّ هذه الخلافات التي وقعت بين الصحابة كما في حديث عمر وهشام وغيرهما كانت اختلافاً في الألفاظ وكيفية الأداء ، ولم تكن اختلافاً في المعاني والأحكام ، فكان المعنى الواحد يؤدى بطرق مختلفة متوافقة ، أو مختلفة من حيث المعنى لكن اختلاف تنوع لا اختلاف تناقض وتضاد ؛ نحو ﴿ وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف :٤٥] أي: بعد حين ، و(بَعْدَ أَمَهٍ) أي: بعد نسيان له، والمعنيان جميعاً وإن اختلفا صحيحان ؛ لأنّه ذكر أمر يوسف بعد حين ، وبعد نسيان له ، فأنزل الله على لسان نبيه ﷺ بالمعنيين جميعاً في غرضين[١] . وكقوله: ﴿ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة ٢٥٩]، و﴿ نُنْشِرُها﴾ ، فأنّ الإنشار: الإحياء ، والإنشاز هو: التحريك للنقل ، والحياة حركة ، فلا فرق بينهما[٢] ، والأمثلة على هذا كثيرة. والذي يدل على هذا أنّ النبي ﷺ أقرأ كلاً منهما على حرف ؛ ولما اختلفا ورجعا إليه قال لهما : « هكذا أنزلت » ؛ ولا يمكن أن يكون هنالك اختلاف فيما أنزل من عند الله في المعنى[٣] ؛ كما قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) القراءة الثانية شاذة ، ذكرها ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، إعداد ودراسة عمر محمد سعيد ، إشراف د . عبد الصبور شاهين ص٧٣ ، ٧٤ ، ط : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، والزمخشري في الكشاف ٣/٢٩١، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، ط : مكتبة العبيكان ، الرياض.

(٢) قرأ ابن عامر والكوفيون (ننشزها) بالزاي المنقوطة ، والباقون بالراء . انظر : تقريب النشر في القراءات العشر ص٢٣٢ ، والغاية ص٢٠٣.

(٣) انظر: فتح الباري ٩ / ٣٤.

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء :٨٢] ، قال النووي ـــ رحمه الله ـــ (ت : ٦٧٧هـــ) : « وإنَّ هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى ، وليست متضاربة ولا متنافية »[1] ، وقال ابن قتيبة ـــ رحمه الله ـــ : « فاختلاف التضاد لا يجوز ، ولست واجده بحمد الله في شيء من القرآن إلا في الأمر والنهي من الناسخ والمنسوخ »[2].

الفائدة الثالثة : الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف هي التيسير على الأمة العربية التي شوفهت بالقرآن ، فإنَّها كانت قبائل كثيرة ، مختلفة فيما بينها في اللهجات[3] ، ونبرات بعض الأصوات ، وشهرة بعض الألفاظ في بعض مدلولاتها ؛ على الرغم من أنَّها كانت تجمعها العروبة ، ويوحِّد بينها

---

(١) صحيح مسلم بشرح النَّووي ليحيى بن شرف النووي ٨٧/٣ ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت.

(٢) انظر: تأويل مشكل القرآن ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٣) اللهجات في اصطلاح علماء السلف يعبرون عنها باللغات كثيراً ؛ كما يشير أصحاب المعاجم إلى ذلك بقولهم: لغة تميم ، ولغة طيء ، ولغة هذيل . واللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث :هي مجموعة الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة ، وتعود إلى أصل لغوي يجمع بينها. والبيئة الواسعة التي تشتمل على عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة، والفرق بين لهجة وأخرى تكون في الاختلاف الصوتي؛ وهو الغالب كالعنعنة التي كانت في تميم؛ وهو أهم كانوا ينطقون الهمزة عينا فيقولون في (أن) : عن ، والكشكة التي كانت في ربيعة ؛ وهو أهم كانوا يجعلون الشين مكان الكاف في خطاب المؤنث ؛ فيقولون في (عليك) : عليش ، وكتلتلة بهراء يقولون: تعلمون ، يعلمون بكسر أوائل حروف المضارعة ونحو ذلك . وكالاختلاف في إبدال بعض الحروف وحركاتها كما في الإمالة، والتفخيم ، والإدغام والإعراب كما كان هناك بعض الاختلاف في الألفاظ مع اتفاق المعنى ، أوعدم تضاده وتنافيه ، وقد تحدث علماء اللغة والأدب والبيان عن ذلك بإسهاب . انظر : كتاب "في اللهجات العربية " د. إبراهيم أنيس ص١٦ ـــ ١٨ ، ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، واللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي، ط: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية .

اللسان العربي العام ، فلو أخذت كلها بقراءة القرآن على حرف واحد لـــشقَّ ذلك عليها ، وهذا الشاهد نجده ماثلاً بوضوح في الأحاديث السابقة ؛ من ذلك قوله ﷺ : «أَسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ ، وَإِنَّ أُمَّتِي لا تُطِيقُ ذَلِكَ » ، وقوله ﷺ : « يَا جِبْرِيلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ ؛ مِنْهُمْ الْعَجُوزُ ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ ، وَالْغُلامُ، وَالْجَارِيَةُ ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ » .

قال ابن الجزري ــ رحمه الله ــ (ت :٨٣٣هــ) : « فأمَّـــا وروده علـــى سبعة أحرف فللتخفيف على هذه الأمَّة ، وإرادة اليسر بها ، والتهوين عليها ؛ شرفاً لها ، وتوسعة ، ورحمة ، وخصوصية لفضلها ، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق ، وحبيب الحق »[١] ، وقد نقل أبو شامة المقدسي عن شيوخه بأنَّه « لم يكلف بعضهم الانتقال من لغة إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم ، ولأنَّ العربي إذا فارق لغته التي طبع عليها يدخل عليه الحمية من ذلك ، فتأخذه العزة ، فجعلهم يقرأونه على عاداتهم وطباعهم ولغاتهم مَنّاً منه - عز وجل- لئلا يكلفهم مـــا يشق عليهم ، فيتباعدون عن الإذعان »[٢] .

وقال ابن قتيبة في أول تفسير المشكل له : « كان من تيسير الله أن أمر نبيه أن يقرأ كل قوم بلغتهم ، فالهذلي يقرأ : (عَتَّى حين) يريد ﴿حتى حين﴾ ؛ لأنَّه هكذا يلفظ بها ويستعملها . والأسدي يقرأ "تِعْلمون ، وتِعْلم" بكسر أولـــه ، والتميمي يهمز ، والقرشيُّ لا يهمز ... ولو أنَّ كل فريق من هؤلاء أُمِـــر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه لسانه طفلاً وناشئاً وكهلاً لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل اللسان ،

---

(١) النشر في القراءات العشر لمحمد بن الجزري ٢٥/١ ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٢) المرشد الوجيز ص٩٤ .

وقطع للعادة ، فأراد الله ـــ برحمته ولطفه ـــ أن يجعل لهم مُتّسعاً في اللغـــات ، ومُتَصرّفاً في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدِّين ...»[1] .

الفائدة الرابعة : في نزول القرآن على سبعة أحرف فقـــط دون ســـائر الأحرف الأخرى، بداية لتوحيد الأمة على أفصح مختارات القبائل العربية ، فإنَّ وحدة اللسان العام من أهم العوامل في وحدة الأمة ، وقد ساعد هذا التـــدرج على جمع الناس على حرف في عهد عثمان ﷺ إذ إن التدرج في علاج الأمر الراسخ في جذور المجتمع واحدة من أبرز خصائص الإسلام [2].

الفائدة الخامسة : أنَّ جميع الأحاديث تشير إلى أنَّ القرآن نزل على ســـبعة أحرف ، وهذا يدل على حقيقة العدد المعروف في الآحاد بين الستة والثمانية ، وأنَّ الحروف في القراءة ينبغي أن لا تخرج عن هذه السبعة الأحرف التي سمعها الرسول ﷺ من جبريل عليه السلام [3] ؛ كما جاء عن رسول الله ﷺ قَال : « أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام عَلَى حَرْفٍ ، فَرَاجَعْتُهُ فَلَمْ أَزَلْ أَسْتَزِيدُهُ فَيَزِيدُنِي حَتَّى انْتَهَى إِلَـــى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ » ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَـــى سَـــبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » ، قال النووي : « معناه لا يتجاوز أمتك سبعة أحرف ، ولهم الخيار في السبعة ، ويجب عليهم نقل السبعة إلى من بعدهم بالتخيير فيها ، وأنها لا تتجاوز » [4] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٧٣ ، والنشر في القراءات العشر ١ /٢٥.

(٢) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ١/١٤٩، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت .

(٣) انظر : مناهل العرفان ١ /١٥١ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٣ / ٩٠ .

الفائدة السادسة : أنَّ من قرأ حرفاً من هذه الحروف فقد أصاب ؛ أيّاً كان ذلك الحرف ؛ كما يدل عليه قوله ﷺ: « فَأَيُّمَا حَرْف قَرَءُوا عَلَيْه فَقَدْ أَصَابُوا » وقوله «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » ، وقول أُبي للمخالفين له في القراءة : « فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللَّه ﷺ فَقَرَآ فَحَسَّنَ النَّبيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا »، وعدم موافقته لعمر وأبي وغيرهما في معارضة مخالفيهم بالطرق الآنفة ؛ فهي كانت على سبيل الاختيار عند الصحابة ؛ من غير إلزام بواحد منها ، ومن قرأ بأي حرف فهو كما قرأ [١] .

الفائدة السابعة : إنَّ ورود التخفيف على سبعة أحرف لم يكن في بداية الأمر ؛ بل كان ذلك بعد الهجرة ؛ بعد أن دخل في الإسلام الكثير من القبائل غير قريش[٢] ؛ كما ورد ذلك في قوله : « إنَّ جبريل لقي النبي ﷺ وهو عند إضاءة بني غفار» ، وفي رواية أخرى: «عند أحجار المراء » ، وهما موضعان بالمدينة ؛ لأنَّه لم تكن هنالك مشكلة لأهل مكة وحدهم في قراءته أو فهمه ؛ لأنَّ غالبهم كانوا من قبيلة واحدة ؛ لكن بعد أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة وكثر عدد الداخلين في الإسلام من القبائل المختلفة بلهجاتهم المتباينة ؛ وجدت المشكلة ، فجاءت الرخصة والتوسعة من الله – عزوجل– ، وإسلام هشام كان بعد فتح مكة ؛ وحديث أبي فيه: « كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ »، وهذا يدل على أنَّ ذلك كان في المدينة لأن المراد به مسجد النبي ﷺ ، والقرينة

(١) انظر: مناهل العرفان ١ / ١٥٢ .

(٢) انظر: فتح الباري ٩/٣٦ ، وإتقان البرهان في علوم القرآن للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ٧١/٢ ، ط : دار الفرقان ، عمان ـــ الأردن .

الأقوى قوله: «فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُـــولِ اللَّـــهِﷺ »، وأنَّ المراجعة التي تمت لتعدد الأحرف لم تكن للقرآن المدني فحسب ؛ وإنَّما كانت لجميع القرآن ؛ وإلا ما اتفق ذلك مع مبدأ اليسر ، ولما قال النبي ﷺ : «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ».

الفائدة الثامنة : في انتهاء طلبه ﷺ إلى سبعة دلالة على علمه بأنَّ أمَّته عند اختلاف لغات العرب في التعبير عن المعنى الواحد بألفاظ مختلفة لا تحتـــاج في لفظة من ألفاظ القرآن إلى أكثر من ذلك ، وأنَّ هذه التوسعة كانت فيما يحتمل من الألفاظ لا في كلِّ القرآن ، قال ابن حجر : «وكأنَّه انتهى عند السبع لعلمه أنَّها لا تحتاج لفظة من ألفاظه إلى أكثر من ذلك العدد غالباً ، وليس المراد كما تقدم أنَّ كل لفظة منه تقرأ على سبعة أوجه . قال ابن عبد البر ـــ رحمه الله ـــ (ت : ٤٦٣هـــ): « وهذا مجمع عليه ؛ بل هو غير ممكن ؛ بـــل لا يوجـــد في القرآن كلمة تقرأ على سبعة أوجه إلا الشيء القليل »[١].

الفائدة التاسعة : إنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا متحمـــسين في الدفاع عن القرآن والمحافظة عليه من أن يحدث فيه حدث ؛ ولو كان عن طريق الأداء واختلاف اللهجات[٢] ؛ وذلك واضح من تلبيب عمر لهشام وسوقه إلى رسول الله ﷺ ، ففي رواية مسلم: « فكدت أن أعجل عليه ، ثم أمهلته حـــتى انصرف ، ثم لبّبته بردائه ، فجئت به إلى رسول الله ﷺ »، قال النووي: « وفي هذا بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن، والذب عنه ، والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما يجوزه العربية »[٣].

---

(١) فتح الباري ٩/٣٥ ، ٣٦ .

(٢) انظر: مناهل العرفان ١/ ١٥٣ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٣/ ٨٧ .

الفائدة العاشرة : إنَّه لا يجوز أنَّ نجعل من اختلاف الأحرف معركة جدال وشقاق، ومسار تردد وتشكيك وتكذيب ؛ على حين أنَّ نزول القرآن على سبعة أحرف إنَّما كانت حكمته التيسير والتخفيف ، والرحمة والتهوين على الأمة ، فيجب ألاّ نجعل من اليسر عسراً ، ومن الرحمة فرقة ؛ خاصة أنها جميعاً من عند الله [1]، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله : «فلا تماروا فيه فإن المراء فيه كفر » ، وقوله: « فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا » .

الفائدة الحادية عشرة : أنَّ الأحرف السبعة كانت وجوهاً مختلفة يقرأ بها مع اتفاق المعنى ، كما جاء في الحديث : «أَقْرَأَنِي جِبْرِيلُ – عَلَيْهِ السَّلام– عَلَى حَرْفٍ » وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقْرَأَ أُمَّتُكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ » ، وفي رواية: «فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ » ، وفي رواية: «فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا » ، وقول عمر بن الخطاب ﷺ : «سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَاسْتَمَعْتُ لِقِرَاءَتِهِ فَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ عَلَى حُرُوفٍ كَثِيرَةٍ لَمْ يُقْرِئْنِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ » ، وكذلك ما نقل عن أبي -رضي الله عنه- في قوله : «كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ». فكل هذه الروايات تدل بصورة قاطعة على أنَّ الاختلاف في مفهوم الأحرف السبعة كان في أمر يتعلق بالقراءة دون غيرها .

الفائدة الثانية عشرة: أنَّ نزول القرآن على الأحرف السبعة لم يكن مشكلاً على أصحاب النبي ﷺ إلا في بداية الأمر ، أما بعدما اختلفوا ورجعوا

---

(١) انظر: مناهل العرفان ١/١٥٤ ، وإتقان البرهان ٢/٧١.

إلى النبي ﷺ وأخبرهم بأنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف وأمرهم أن يقرءوا بما تيسر أصبح أمرها معلوماً ، و لم ينقل إلينا بعد ذلك في عهد النبي ﷺ خلاف حولها ، و لم يكن عندهم إشكال في تصور مفهوم الأحرف السبعة ؛ إذ لو أشكل عليهم ذلك لرجعوا إلى النبي ﷺ وسألوه عنها ، وإنَّما وقع هذا الإشكال في فترات متأخرة .

الفائدة الثالثة عشرة : أنّ النبي ﷺ كان يقرأ هذه الأحرف بعض الصحابة دون بعض ، فهو قد أقرأ هشاماً بما لم يقرئ به عمر ، وأقرأ صاحبي أبي بما لم يكن يعلمه ، و لم يكن يخصص حرفاً معيناً لكلّ قبيلة ؛ بل نجد من حديث عمر أنّه كان أحياناً يقرئ أفراد القبيلة الواحدة بأكثر من حرف ؛ ولذا نجد عمر وهشاماً قرشيين وقد اختلفا في القراءة .

* * *

المبحث الثاني : أشهر الأقوال في المراد بالأحرف السبعة والراجح منها :

المطلب الأول : أشهر الأقوال في المراد بالأحرف السبعة :

اختلف العلماء في تفسير المراد بالأحرف السبعة اختلافاً كثيراً ، فقال أبو حاتم بن حبّان البستي صاحب المسند الصحيح ـ رحمه الله ـ (ت : ٣٥٤هـ) : « اختلف الناس فيها على خمسة وثلاثين قولاً [١] » ، وقال السيوطي : « على نحو أربعين قولاً[٢] » وقد ذكر منها في كتابه الإتقان خمسة وثلاثين قولاً ، وأكثر هذه الأقوال متداخلة بمثابة قول واحد متفرع إلى فروع ، كما قال المنذري - رحمه الله - (ت : ٦٥٦هـ) : « أكثرها غير مختار[٣] » .

وقال أبو الفضل المرسي ـ رحمه الله ـ (ت : ٦٥٥هـ) : « هذه الوجوه أكثرها متداخلة ، ولا أدري مستندها ، ولا عمن نقلت ، ولا أدري لم خص كل واحد منهم هذه الأحرف بما ذكر ؛ مع أنّ كلها موجودة في القرآن ، فلا أدري معنى التخصيص! وفيها أشياء لا أفهم معناها على الحقيقة ، وأكثرها يعارضه حديث عمر مع هشام بن حكيم الذي في الصحيح »[٤] .

لذا سوف نذكر منها ما هو ذو بال ، وله وجه من النظر ، أو مشهور بين الناس ، ثم نناقش كل قول وفق ما استنبطناه من شواهد ودلالات الأحاديث السابقة ، وفق منهج علمي محكم ؛ مستعينين بالله ، وملتمسين منه التوفيق والسداد ، والهدى ، والرشاد . **فأشهر هذه الأقوال ستة وهي :**

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي خرج أحاديثه وقدم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا ١/٢٧١ ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان .

(٢) الإتقان للسيوطي ١/ ١٦٤ .

(٣) فتح الباري ٩/ ٣٤ .

(٤) الإتقان ١/ ١٧٤ .

القول الأول : ذهب أكثر العلماء إلى أنّ المراد بالأحرف السبعة : **سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد** . على معنى أنّه حيث تختلف لغات العرب في التعبير عن معنى من المعاني ؛ يأتي القرآن منزلاً بألفاظ على قدر أشهر لغات العرب لهذا المعنى الواحد ، وحيث لا يكون هنالك اختلاف فإنّه يأتي بلفظ واحد ، فهي أوجه سبعة من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو (هلم ، و أقبل ، وتعال ، وإليّ ، ونحوي ، وقصدي ، وقربي) ، ونحو (أسرع ، وعجل) ، ونحو (أنْظِر ، وأخّر ، وأمهل) ، ونحو ذلك .

أقوا ل العلماء في تحديد اللغات السبع :

اختلف العلماء في تحديد اللغات السبع ؛ فقيل : هي لغات قريش ، وهذيل ، وهوازن ، وتميم ، وكنانة ، واليمن ، وقيل غير ذلك ، وقد تحدث عنها الزركشي ــ رحمه الله ــ (ت: ٧٩٤هــ) في النوع الحادي عشر ؛ في معرفة على كم لغة نزل [(١)] ، وتحدث عنها كذلك السيوطي في النوع السادس عشر ؛ كيفية إنزاله [(٢)] . ولكن ابن الجوزي ــ رحمه الله ــ (ت: ٥٩٧هــ) علق على هذه الأقوال والنقول الكثيرة في تحديد هذه القبائل بقوله : « والذي نراه أنّ التعيين من اللغات على شيء بعينه لا يصح لنا سنده ، ولا يثبت عند جهابذة النقل طريقه ؛ بل نقول : « نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب »[(٣)]. وقال ابن جرير ــ رحمه الله ــ : «فإن قال لنا قائل : فهل لك من علم بالألسن السبعة التي نزل بها القرآن ، وأي الألسن هي من

(١) البرهان ١/ ٢٦٩ .

(٢) الإتقان ١/١٤٤ .

(٣) فنون الأفنان في عيون علوم القرآن للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق د . حسن ضياء الدين عتر ص٢١٧ ، ط : دار البشائر الإسلامية .

ألسن العرب؟ قلنا : أما الألسن الستة التي قد نزلت القراءة بها ، فلا حاجة بنا إلى معرفتها ؛ لأنا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها » [1].

وإلى هذا القول - أي الأول - ذهب سفيان بن عيينة - رحمه الله - (ت : ١٩٨هـ) ، وابن وهب - رحمه الله - (ت : ١٩٧هـ) ، والطحاوي- رحمه الله - (ت : ٣٢١هـ) ، وابن جرير الطبري - رحمه الله- وقد دافع عنه بشدة في مقدمة تفسيره ، و أيده ابن عبد البر - رحمه الله - في التمهيد ونسبه لأكثر العلماء [2]، ونصره جمهور العلماء المعاصرين .

القول الثاني : وقال قوم : إنّ المراد بالأحرف السبعة : **سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن** ، على معنى أنّه في جملته لا يخرج في كلماته عن سبع لغات هي أفصح لغاتهم ، فأكثره بلغة قريش ، ومنه ما هو بلغة هذيل ، أو ثقيف ، أو هوازن ، أو كنانة أو تميم ، أو اليمن ، فهو يشتمل في مجموعه على اللغات السبع .

وهذا الرأي يختلف عن سابقه ؛ إذ يعني أنّ الأحرف السبعة إنّما هي سبع لغات متفرقات في سور القرآن ، لا أنّها لغات مختلفة في كلمة واحدة باتفاق المعنى .

قال أبو عبيد بن سلام : « ليس المراد أن كلّ كلمة تقرأ على سبع لغات ؛ بل اللغات السبع متفرقة فيه ، فبعضه بلغة قريش ، وبعضه بلغة هذيل ، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن ، قال : وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً » [3].

---

(١) جامع البيان ١/ ٢٩ .

(٢) انظر: البرهان ١ / ٢٧١.

(٣) انظر: الإتقان ١/ ١٦٩ ، وفتح الباري ٩ / ٣٥.

وقد اختار هذا القول أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو حاتم السجستاني ، وابن عطية ـــ رحمه الله ـــ (ت : ٥٤٢هـ) ، وصححه البيهقي ـــ رحمه الله ـــ (ت : ٤٥٨هـ)، في شعب الإيمان ، وقال به آخرون ذكرهم الزركشي في البرهان والسيوطي في الإتقان[١] .

القول الثالث : ذكر بعضهم أنَّ المراد بالأحرف السبعة : **أوجه سبعة ، أو سبعة أصناف من الكلام** ، ولكن اختلفوا في تحديدها ، فمنهم من قال : الأمر والنهي ، والوعد والوعيد ، والجدل ، والقصص ، والمثل ، ومنهم من قال : الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والمحكم والمتشابه ، والأمثال ، ومنهم من قال غيرها ، واستدلوا بحديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال : « كان الكتاب الأول أنزل من باب واحد ، وعلى حرف واحد ، ونزل القرآن على سبعة أبواب ؛ على سبعة أحرف ، زجر وأمر، وحلال وحرام ، ومحكم ومتشابه ، وأمثال ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وافعلوا ما أمرتم به ، وانتهوا عما نهيتم عنه ، واعتبروا بأمثاله ، واعملوا بمحكمه ، وآمنوا بمتشابهه ، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا »[٢] .

القول الرابع : وذهب جماعة منهم ابن قتيبة ، والقاضي ابن الطيب-رحمه الله - (ت: ٤٠٣هـ) ، وأبو الفضل الرازي (ت : ٤٥٤هـ) ، وابن الجزري

---

(١) انظر: البرهان ١/ ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، والإتقان ١/١٦٩ .

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره ٣/١١٥ ، والحاكم في المستدرك ٢/٢٩٠ ، قال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وتعقبه الذهبي بقوله : منقطع . قال الهيثمي في المجمع ٧/١٥٣ : فيه عمار بن مطر وهو ضعيف جداً ، وقد وثقه بعضهم ، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٤ /٦٢ ، كما رواه كذلك البيهقي .

ـــ رحمهم الله ـــ « وهو القول الراجح عند جماهير القراء »[1] ، واختـــاره الزرقاني في المناهل ، وساق الأدلة على رجحانـــه إلى أنّ المـــراد بـــالأحرف : **الوجوه التي تتخالف فيها لغات العرب ، و يقع فيها التغاير** ؛ وهي في سبعة أشياء ، ولكنهم لم يتفقوا على سبعة أوجه بعينها ، قال ابن قتيبة : « وقـــد تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه :

أولها : الاختلاف في إعراب الكلمة ، أو حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نـــحو قوله تعالى : ﴿ **هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ** ﴾ [هود : ٧٨] ، وأطهرَ لكم[2] ، ومثل قوله تعالى : ﴿ **وَهَلۡ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ** ﴾ [سبأ: ١٧] ، قرأ ﴿ **هَلْ يُجَازَي** ﴾[3] ، فإنّ اختلاف الإعراب في المثال الأول ، أو حركة البناء في المثال الثاني لم يغير المعنى ولا صورة الخط .

والوجه الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركة بنائها بما لا يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، نحو قوله تعالى : ﴿ **رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا** ﴾ [سبأ من الآية :١٩] وربُّنا بَاعَدَ[4] .

---

(١) إتقان البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٠٢ .

(٢) أطهرُ بضم الراء قراءة الأئمة العشرة المشهورين ، وأطهرَ بالفتح قراءة سعيد بن جبير ، وابن مروان ، وعيـــسى ابن عمر . انظر: مختصر شواذ القرآن لابن خالويه ، ص٦٠ ، والمرشد المفيد ، ص١١٣ .

(٣) قرأ حمزة ، والكسائي ، وخلف ، ويعقوب ، وحفص (نجازِي) بالنون مع كسر الزاي ، وبنصب (الكفور) ، وقرأ الباقون بالياء ، وفتح الزاي ، ورفع الكفور . انظر تقريب النشر في القراءات العشر ، لابن الجزري ، دراسة وتحقيق علي عبد القدوس عثمان الوزير ، ص٣٢٥ ، ط : دار إحياء التراث العـــربي ، بـــيروت، والغاية في القراءات العشر للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصفهاني(ت:٣٨١هـــ) ، دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز ، ص٣٦٧، ط : دار الشواف ـــ الرياض .

(٤) قرأ يعقوب (ربُنا) برفع الباء ، و(باعد) بالألف ، وفتح العين والدال ، وقرأ ابن كثير وأبو عمـــر وهـــشام بنصب الباء وحذف الألف وتشديد العين وإسكان الدال ، وكذا الباقون ؛ ولكنهم بالألف والتخفيـــف . انظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص٣٢٥ ، والغاية ص٣٦٨ .

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها ، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٩] ونُنْشِرُها[1] .

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ٱلۡمَنفُوشِ ۝ ﴾ [القارعة: ٥] وكالصُّوف[2] .

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى : ﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝ ﴾ [الواقعة:٢٩] ، وفي قراءة « وطلع »[3] .

والوجه السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ؛ نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [ق: من الآية١٩] . وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِ بالْمَوْتِ[4].

---

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون (ننشزها) بالزاي المنقوطة ، والباقون بالراء . انظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص٢٣٢ ، والغاية ص ٢٠٣ .

(٢) قراءة الصوف لعبد الله بن مسعود ذكرها البخاري في صحيحه في كتاب التفسير في تفسير سورة القارعة، والقراءة غير متواترة، انظر: الكشاف للزمخشري ٦ /٤١٢ ، والمرشد الوجيز ص١٤٧ ، وفتح الباري ٩/ ٣٧ .

(٣) قراءة الحاء هي القراءة الثابتة المتواترة ، وقراءة العين تروى عن علي بن أبي طالب ؛ وهي قراءة شاذة تخالف رسم المصحف. انظر: تفسير ابن جرير ٢٧/٩٠ ، والمرشد ص١١٤، وشواذ القرآن ص١٥١، وفتح الباري ٩ / ٣٧.

(٤) قراءة شاذة مروية عن أبي بكر الصديق ، وعبد الله بن مسعود . انظر: تفسير ابن جرير ٢٦ / ١٦٠، والمرشد ص١١١ ، وفتح الباري ٩ / ٣٧ .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾(يـس: من الآية٣٥) ﴿ وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[1] »[2].

وقال أبو الفضل الرازي : « الكلام لا يخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف :

الأول : اختلاف الأسماء في الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث مثل :﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة: من الآية١٨٤] قرئ لفظ (مسكين) هكذا بالإفراد ، وقرئ (مساكين) بالجمع[3] . ومثل: ﴿ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ ﴾ [البقرة : من الآية٤٨] ، قرئ هكذا بياء التذكير، و قرئ (تقبل) بتاء التأنيث [4].

الثاني : اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا ﴾ [البقرة: من الآية١٨٤] قرئ هكذا على أنّه فعل ماض ، وقرئ (يطّوع) على أنّه فعل مضارع مجزوم[5] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف ، وأبو بكر (وما عملت) بغير هاء الضمير، والباقون (عملته) بالهاء ، انظر: النشر ٣٥٣/٢ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٣٢٨ ، والغاية ص٣٧٤ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٧٠ .

(٣) قرأ المدنيان ، وابن عامر (مساكين) بالجمع، وفتح النون من غير تنوين، والباقون بالأفراد والخفض ، انظر: النشر ٢ / ٢٢٦ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٢٩ ، والغاية ص ١٩٢.

(٤) قرأ ابن كثير والبصريان (ولا تقبل) بالتأنيث ، وقرأ الباقون بالتذكير. انظر: النشر ٢/ ٢١٢، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٢١ ، والغاية ص١٧٦.

(٥) قرأ حمزة والكسائي وخلف في الموضعين بالياء ، وتشديد الطاء ، وجزم العين ، وهو فعل مضارع مجزوم بمن الشرطية، وافقهم يعقوب في الأول، والباقون بالياء والتخفيف وفتح العين، انظر: النشر ٢٢٣/٢، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٢٧ ، والغاية ص١٨٨ .

﴿ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ ﴾ [الأنبياء :٤] قرئ هكذا على أنه فعل ماض ، وقرئ (قل) على أنّه فعل أمر(١) .

الثالث : اختلاف وجوه الإعراب نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ﴾ [البقرة: من الآية١١٩] قرئ بضم التاء ورفع اللام على أنّ (لا) نافية ، وقرئ بفتح التاء وجزم اللام على أنّ (لا) ناهية (٢).

وكقوله تعالى : ﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: من الآية٣١] قرأ الجمهور بالنصب على أنّ (ما) عاملة عمل ليس ؛ وهي لغة الحجاز وبها نزل القرآن ، وقرأ ابن مسعود (ما هذا بشرٌ) بالرفع على لغة تميم ، فإنهم لا يعملون (ما) عمل ليس(٣) .

الرابع : الاختلاف بالنقص والزيادة كقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] قرئ هكذا بالواو قبل السين ، وقرئ بحذفها(٤) كقوله تعالى : ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [التوبة: من الآية١٠٠] ، قرئ (من تحتها) بزيادة "من"، وهما قراءتان متواترتان(٥) .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (قال ربي) بألف على الخبر ، والباقون (قل) على الأمر . انظر: النشر ٢/ ٣٢٣ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ، ص ٣٠٢ ، والغاية ص٣٢٦.

(٢) قرأ نافع ويعقوب (ولا تسئل) بفتح التاء وجزم اللام ، والباقون بضم التاء والرفع. انظر: النشر ٢/٢٢١، وتقريب النشر في القراءات العشر ص ٢٢٥ ، والغاية ص١٨٤ .

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري ٣ /٢٨٠.

(٤) قرأ المدنيان وابن عامر (سارعوا) بغير واو قبل السين ، والباقون بالواو . انظر: النشر ٢ / ٢٤٢ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٣٨ ، والغاية ص٢١٧ .

(٥) قرأ ابن كثير (تجري من تحتها الأنهار) بزيادة (من) وخفض تاء (تحتها) موافقة لرسم المصحف المكي ، والباقون بغير (من) وفتح تاء تحتها. انظر: النشر ٢/٢٨٠ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٦٨ ، والغاية ص ٢٧١ .

الخامس : الاختلاف بالتقديم والتأخير كقوله تعالى : ﴿ وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ ﴾ [آل عمران: من الآية١٩٥] ، قرئ هكذا بتقديم وقاتلوا وقتلوا ، وقرئ بتقديم (وقتلوا) وتأخير (وقاتلوا) [١] .

السادس: الاختلاف بالإبدال أي جعل حرف مكان حرف آخر، أو كلمة بأخرى ، كقوله تعالى : ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ [يونس: من الآية٣٠] ، قرئ هكذا بتاء مفتوحة فباء ساكنة ، وقرئ بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تتلوا)[٢] ، وكقوله تعالى: ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾[البقرة : من الآية٢٥٩] ، قرئ بالزاي المعجمة مع ضم النون، وقرئ بالراء المهملة مع فتح النون [٣].

السابع : الاختلاف في اللهجات بـ « الفتح ، والإمالة ، والإظهار ، والإدغام ، والتسهيل ، والتخفيف ، والتفخيم ونحوها » [٤] .

القول الخامس : ذهب بعضهم **إلى أن العدد سبعة لا مفهوم له** ، وليس المراد منه حقيقة العدد ؛ وإنَّما هو رمز إلى ما ألفه العرب من معنى الكمال في هذا العدد ، فهو إشارة إلى أنَّ القرآن في لغته وتركيبه كأنَّه حدود وأبواب لكلام العرب كله ، مع بلوغه الذروة في الكمال ، فلفظ السبعة يطلق على

---

(١) قرأ حمزة والكسائي وخلف (وقتلوا ، وقاتلوا) بتقديم (قتلوا) والباقون بتأخيره. انظر: النشر ٢/٢٤٦ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص٢٤١ ، والغاية ص٢٢١.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف (هنالك تتلوا) بتاءين ، والباقون بالتاء والباء . انظر : النشر ٢/٢٨٣ ، وتقريب النشر في القراءات العشر ص ٢٧١ ، والغاية ص ٢٧٥.

(٣) قرأ ابن عامر والكوفيون (ننشزها) بالزاي المنقوطة، والباقون بالراء . انظر: تقريب النشر في القراءات العشر ص٢٣٢ ، والغاية ص٢٠٣.

(٤) النشر في القراءات العشر ١/ ٢٧.

إرادة الكثرة والكمال في الآحاد، كما يطلق السبعون في العشرات ، والسبعمائة في المئات، ولا يراد العدد المعين ، قال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: من الآية٢٦١] ، وقال تعالى : ﴿ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴾ (التوبة : من الآية٨٠) ، وإلى هذا جنح عياض بن عمرو اليحصبي[١] ــ رحمه الله ــ (ت : ٥٤٤ هــ) ، وجمال الدين القاسمي ــ رحمه الله ــ (ت :١٣٣٢هــ) في (مقدمة تفسيره محاسن التأويل) [٢]، ومصطفى صادق الرافعي ــ رحمه الله ــ (ت : ١٣٥٦هــ) حيث قال : « وإنَّما جعلها سبعة رمزاً إلى ما ألفوه من معنى الكمال في هذا العدد ... إذ يجعل القرآن في لغته وتركيبه كأنَّه حدود ، وأبواب لكلام العرب كله » [٣]، وغيرهم من العلماء .

القول السادس : أن المراد بالأحرف السبعة القراءات السبعة ، وقد نسب الزركشي في كتابه البرهان[٤] هذا القول للخليل بن أحمد - رحمه الله - (ت : ١٧٠هــ) ، فقال: « وحكي عن الخليل بن أحمد » ، كما ذكر ذلك ابن عبد البر ــ رحمه الله ــ (ت : ٤٦٣هــ) في كتابه التمهيد [٥] .

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣٠ .

(٢) ١/ ٢٨٧ .

(٣) انظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، لمصطفى صادق الرافعي ، ص ٦٨، ط : دار الكتاب العــربي ، بيروت.

(٤) انظر : البرهان ١/ ٢٧٣.

(٥) انظر : فتح البرِّ في التّرتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر٤ / ٥٧٧ ، ط : مجموعة التحف النّفــائس الدولية، الرياض .

المطلب الثاني : مناقشة الأقوال التي وردت في معنى الأحرف السبعة ، وبيان الراجح منها :

الراجح من هذه الأقوال جميعاً ـــ إن شاء الله ـــ هو القول الأول " أنّ المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد " نحو (أقبل ، وتعال ، وهلم ، وعجل ، وأسرع) فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، أو لمعانٍ مختلفة ولكن اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد .

ويُرجَّح هذا القول لما يلي :

١- موافقته لدلالات الأحاديث السابقة ، ومطابقته لظاهر بعضها كما جاء في حديث عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه : « أنّ جبريل قال لرسول الله ﷺ : اقرأ القرآن على حرف ، فقال ميكائيل : استزده . فقال : على حرفين حتى بلغ سبعة أحرف ، فقال : كلها شافٍ كافٍ ، ما لم تختم آية عذاب بآية رحمة ، أو آية رحمة بآية عذاب ، كقولك : هلم ، وتعال ، وأقبل ، وأسرع ، وعجل »[1].

قال ابن عبد البر : « إنّما أراد بهذا ضربَ المثل للحروف التي نزل القرآن عليها ، وأنّها معانٍ متفق مفهومها ، مختلف مسموعها ، لا يكون في شيء منها معنى وضده ، ولا وجهٌ يخالف معنى وجه خلافاً ينفيه ويُضادّه ، كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضدّه ، وما أشبه ذلك »[2] .

وقال الطبري : « فقد أوضح نص هذا الخبر أنّ اختلاف الأحرف السبعة ، إنّما هو اختلاف ألفاظ ، كقولك: هلم وتعال ، باتفاق المعنى ؛ لا باختلاف

---

(١) رواه أحمد في المسند ٥/٤١ ،٥١ ، وابن أبي شيبة في مصنفه ١٨٢/٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، ١٥١/٧ ، والطبري في مقدمة تفسيره ٤٣/١ ـــ ٥٠ ، والطبراني بإسناد جيد .

(٢) انظر: فتح البرّ في التّرتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ٥٨٥/٤.

معان موجبة اختلاف أحكام ، وبمثل الذي قلنا في ذلك صحت الأخبار عن جماعة من السلف والخلف »[1] .

وعن الأعمش قال: قرأ أنس بن مالك هذه الآية ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَصوب قِيلاً ﴾ [المزمل: ٦] ، فقال له بعض القوم : يا أبا حمزة إنَّما هي (وأقوم) ، فقال: أقوم وأصوب وأهدى واحد »[2] ، فهذا كله اختلاف في اللفظ مع اتفاق في المعنى ، وجاء عن أبي بن كعب ﷺ أنّه كان يقرأ ﴿ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا ﴾[الحديد:١٣] ، (أمهلونا ، أخرونا ، أرجئونا) ، وكان يقرأ: ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ ﴾(البقرة: ٢٠) (مروا فيه، سعوا فيه) [3] .

وقد صح عن ابن مسعود ﷺ أنه قرأ بألفاظ مختلفة عما في المصحف مع اتفاق المعنى مثل قراءة (الصوف) في سورة القارعة[4] بدل ﴿ العهن﴾[5] ، وقرأ في ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] حطب جهنم ، ونسب ابن جرير في تفسيره هذه القراءة لعلي بن أبي طالب وعائشة [6] .

---

(١) جامع البيان لابن جرير الطبري ٢٢/١ .

(٢) رواه الطبري في جامع البيان ١/ ٢٢، وأبو يعلى ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٦/٧ ، وقال : رجال أبو يعلى رجال الصحيح ، ورجال البزار ثقات .

(٣) انظر: المرشد الوجيز ص١٠٤ ، والجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي٥٤/١ ، ط: دار الحديث ، القاهرة ، وفضائل القرآن لابن كثير ص٣٧ .

(٤) سورة القارعة الآية (٥) .

(٥) فتح الباري ٧٢٨/٨ .

(٦) جامع البيان لابن جرير ٩٤/١٧ .

كل هذه الآثار تدعم القول بأنّ الأحرف السبعة هي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، وقد كان كل صحابي متمسكاً بالحرف الذي تلقاه من النبي ﷺ إلى أن قام الخليفة الراشد عثمان بن عفان بجمع الناس على حرف واحد ، وإلزام الناس بالالتزام به ، فاندثرت تلك الأحرف الباقية ، ولا يوجد منها اليوم إلا ما احتمله الرسم ، و بعض الروايات النادرة التي توضح الأمثلة لها فقط لا غير .

٢- هذا القول قال به جمهور العلماء منهم أئمة أعلام ثقات ؛ لا يشك أحد في سبقهم وعلمهم وإمامتهم ؛ منهم : سفيان بن عيينة ، وابن جرير الطبري الذي دافع عنه بشدة في مقدمة تفسيره ، وابن وهب ، والطحاوي ، وابن الأثير (ت : ٦٢٠هـ) ، ومكي بن أبي طالب ، والإمام البيهقي ، وابن سيرين (ت : ١١٠هـ) ، واختاره القرطبي (ت : ٦٧١هـ) - رحمهم الله - ونسبه ابن عبد البر لأكثر العلماء [(١)] .

٣- كما أنّه يتفق مع الدلالة اللغوية لكلمة (حرف) ؛ إذ تفسير الحرف (بالوجه) سائغ في لغة العرب ، فيطلق على أحرف الهجاء ، وعلى اللغة أو اللهجة لأنّ ألفاظها تتكون من حروف ، وكما يطلق على الوجه ـــ أي وجه من وجوه اللغة ـــ حيث تقول : هو من أمره على حرف واحد ، أي : على طريقة واحدة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ [الحج: ١١] أي : على وجه واحد ؛ وذلك أن العبد يجب عليه طاعة ربه - تعالى- في السراء والضراء ، فإذا أطاعه في السراء ، وعصاه في الضراء فقد عبده على حرف [(٢)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧١ .

(٢) انظر: القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزأبادي ١٧٠/٣ ط : مكتبة دار الباز، مكة المكرمة .

٤-كما أنّ هذا القول يتفق مع دلالات الأحاديث في مبدأ اليسر الذي نزلت به الأحرف السبعة ، حيث جعلت لهم متسعاً في اللغات بقراءة المعنى الواحد بألفاظ مختلفة ، وأصبح كل واحد يستطيع أن يقرأ بلغته أو ما يقرب منها ؛ وهو يقول بالاتفاق في المعاني لا الألفاظ ؛ لذا أقرأ النبي ﷺ كلاً بما قرأ، إذ لا تعارض بينهم .

لكن هنالك من يعترض في ترجيح هذا القول ؛ بأنّه إذا كانت الحروف السبعة هي لغات من لغات العرب المشهورة فكيف اختلفت قراءة عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم ﷺ وهما قرشيان ولغتهما واحدة ؟ فيجاب على هذا الاعتراض أنّ العبرة في القراءة بالحروف هو السماع من النبي ﷺ لا أن يقرأ كل واحد بهواه ، وعلى حسب ما يسهل عليه من لغته ، وإنكار بعضهم على الآخر لم يكن لأنّ المنكر سمع ما ليس من لغته فأنكر ؛ وإنّما كان لأنّه سمع خلاف ما أقرأه النبي ﷺ ، ولذا قال عمر لهشام : « من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ، قال : أقرأنيها رسول الله ﷺ » .

وجائز أن يكون أحدهما سمع من النبي ﷺ حروفاً بغير لغة قريش فحفظها ، وسمع الآخر حروفا بلغة قريش فحفظها ، وثبت كل واحد منهما على ما سمع من النبي ﷺ ، فمن ثم اختلفا مع كونهما قرشيين ؛ وكون بعض الناس يعرف غير لغته الأصلية وتسهل له وينطق بها كما ينطق بها أهلها أمر مشاهد معروف ، و لم يقل أحد أنّ كل واحد من العرب كان يلتزم القراءة بلغته ، وإنّما كان كل واحد يلتزم الحرف الذي تلقاه عن النبي ﷺ ، لأنّه لو كان كل واحد يلتزم بلغته لقال عمر لهشام : لقد قرأت بغير لغة قومك ، ولكنه لم يحدث ، وإنما أنكر عليه حروفاً لم يقرئه إياها رسول الله ﷺ[1] .

---

(١) انظر : المدخل لدراسة علوم القرآن ، د . محمد بن محمد أبو شهبة ص١٦٤ ، ١٦٥، ط: مكتبة السنة ، القاهرة .

والباحث يرجِّح هذا القول ولكنه يضبط مفهوم سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد التي نزل عليها القرآن بضربين :

أحدهما : هو ما ذكره هؤلاء الأعلام ، وشهدت الأدلة برجحانه وهو يكون في اختلاف تعبير لغات العرب في المعنى الواحد ، أو المعاني المتوافقة بألفاظ شتى ، وهذا النوع حسم بجمع الناس على حرف واحد منها ، وهو ما استقرَّ في العرضة الأخيرة ، ولا يجوز القراءة بغير ما هو مثبت في المصحف الإمام .

والضرب الثاني : يتعلق باختلاف لغات العرب في كيفية النطق الصوتي للكلمات العربية ذات المعنى غير المختلف ، من إمالة ، وهمز ، ولين ، ومد ، وإدغام ، وروم ، وإشمام ، ونحو ذلك ، وقد أثبتت جميع الدراسات اللغوية والقرآنية تباين لغات العرب في ذلك الزمان في هذه الأوجه وهي التي يشقّ على اللسان التحول منها بين يوم وليلة ، وهذا النوع لم يبق منه إلا ما احتمله الرسم ، وصح به النقل ، وبهذا يصح قول القائلين : إن القراءات التي نقرأها اليوم هي بعض الحروف التي نزل عليها القرآن قال البغوي: « فأما القراءة باللغات المختلفة مما يوافق الخط والكتابة فالصحة فيه باقية ، والتوسعة قائمة ، بعد ثبوتها وصحتها ، بنقل العدول عن رسول الله ﷺ »[1] ، وقال : « أظهر الأقاويل وأصحها وأشبهها بظاهر الحديث أنَّ المراد من هذه الحروف اللغات: وهو أن يقرأ كل قوم بلغتهم ، وما جرت عليه عادتهم من الإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتليين وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة منها في الكلمة الواحدة ».

---

(١) شرح السنة للإمام البغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط ١٤١/١ ، ط : المكتب الإسلامي بيروت .

وقال الشيخ المقرئ المفسر النحوي أبو العباس أحمد بن عمار في كتابه "شرح الهداية" : «أصح ما عليه الحذاق من أهل النظر في معنى ذلك إنَّ ما نحن عليه في وقتنا هذا من هذه القراءات هو بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن » .

ثم قال : «وتفسير ذلك أن الحروف السبعة التي أخبر النبي ﷺ أن القرآن نزل عليها ضربان :

أحدهما : زيادة كلمة ونقص أخرى ، وإبدال كلمة مكان أخرى ، وتقديم كلمة على أُخرى ... فهذا الضرب وما أشبهه متروك ؛ لا تجوز القراءة به ؛ ومن قرأ بشيء منه غير معاند ولا مجادل عليه وجب على الإمام أن يأخذه بالأدب ، بالضرب والسجن على ما يظهر له من الاجتهاد ، فإن جادل عليه ، ودعا الناس إليه وجب عليه القتل لقول النبي ﷺ : « المراءُ في القرآن كفر » ، ولإجماع الأمة على اتباع المصحف المرسوم .

والضرب الثاني: ما اختلف فيه من إظهار ، وإدغام ، وروم ، وإشمام ، وقصر ، ومد ، وتخفيف ، وشد ، وإبدال حركة بأخرى ، وياء بتاء ، وواو بفاء ، وما أشبه ذلك على اتباع المصحف المرسوم ؛ فهذا الضرب هو المستعمل في زماننا هذا ، وهو الذي عليه خط مصاحف الأمصار سوى ما وقع فيه من اختلاف في حروف يسيرة . فثبت بهذا : أنَّ هذه القراءات التي نقرأها هي بعض الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن استعملت لموافقتها المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة وترك ما سواها من الحروف السبعة لمخالفته لمرسوم خط المصحف...» إلى أن قال : «... فهذا أصح ما قال العلماء في معنى هذا الحديث »[1] ودفعني إلى ترجيح هذا القول مع التوسع في مفهوم اللغات السبع

(١) انظر : المرشد الوجيز ص١٤١ ، ١٤٢ نقلاً من كتابه شرح الهداية ص٢ ، ٣.

مع أنّ الاختلاف بينها كان يرجع إلى ضربين من أضرب الاختلاف أحـــدهما من جهة دلالة الألفاظ على المعاني ، والثاني من جهة اختلاف الأداء الـــصوتي للألفاظ ما يلي :

أ- أن رواية « كلها شافٍ كافٍ » التي ذكرها هؤلاء العلمـــاء لم تكـــن للحصر والتحديد ، وإنما كانت للمثال والتوضيح ، حتى يسهل تصور أنّ اختلاف الأحرف السبعة لا يؤدي إلى معنى متعارض متضاد وإنمـــا يؤدي إلى معنى الواحد ؛ وإن اختلفت الألفاظ في التعبير عن المعـــنى الواحد أو إلى معانٍ متوافقة غير متضادة .

ب -أنّ اختلاف لغات العرب ولهجاتهم كانت تدور حـــول مـــدلولات الألفاظ على المعاني وطريقة النطق باللفظ الواحد من فتح وإمالة وهمز وتخفيف ونحو ذلك مما كان موجوداً في البيئة العربية وتناقلتـــه كـــل الكتب التي تحدثت عن لغات العرب مما يصعب على الإنسان التخلي عنه بين يوم وليلة ، فسأل النبي ﷺ التخفيف فيها رحمة بهم .

ج ــ هذا القول بهذا المفهوم يسهل عليه تفسير اختلاف أوجه القـــراءات اليوم ، وأن السبب الأساس لذلك يرجع إلى نزول القرآن علـــى سبعة أحرف ، فلما وقع بينهم الخلاف جمع عثمان النـــاس علـــى حرف ، وجاء هذا الرسم محتملاً لبعض الأحرف الستة فترك لهم القراءة بما يتوافق مع هذا الرسم بشرط أن يصح النقل المتواتر عن رسول الله ﷺ بها ، ولذا لا تجد اليوم قراءة كاملة للقرآن على لغة قبيلة واحدة ؛ وإنّما تفرقت أوجه القراءات بين الحرف الذي جمـــع عثمان ــ رضي الله عنه ــ الناس عليه وما احتمله مـــن أوجـــه أخرى ، وجاءت كل قراءة بعد ذلك على حسب الرواية والاختيار

ولو كانت المصاحف العثمانية على الأحرف السبعة لكانت كل قراءة اليوم على حرف ؛ ولما اشترط موافقة الرسم مع صحة السند وموافقة وجه من أوجه اللغة العربية ، وبهذا نعرف لماذا جاءت القراءات خليطاً من الأحرف السبعة ؛ حيث أخذت عن طريق الرواية ، واختيار الإمام مع مراعاة موافقة خط المصحف العثماني .

د- مما جعلني أطمئن لهذا الترجيح بما ذكرت من تفصيل أنَّه قد قال به من العلماء الأوائل الشيخ المقرئ المفسر النحوي أبو العباس أحمد بن عمار في كتابه : «شرح الهداية» حيث قال: « إنَّه أصحُّ ما عليه الحذاق من أهل النظر في معنى الأحرف السبعة » ، ورجَّحه من المعاصرين بوجه يكاد يتطابق مع ما قررناه د . عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي حيث قال: « وبعد تأمل وتفكر في أقوال العلماء رجحت رأياً أطمئن إليه وهو أن المراد بالأحرف السبعة: لغات سبع مختلفة فيما بينها في خصائصها ؛ ولذا اختلفت في أوجه كثيرة »[1] .

ويجاب عن الرأي الثاني : الذي يرى أنَّ الأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب نزل عليها القرآن على معنى أنَّه في جملته لا يخرج في كلماته عنها بما يلي:

١- هو مخالف لصريح الأدلة التي جاءت في صدر هذا البحث ، وأبعد ما يكون عن دلالاتها؛ لأنَّه يقتضي أن القرآن أبعاض ، بعضه بلغة كذا ، وبعضه بلغة كذا ، فالأحاديث تفيد أنَّ معنى الأحرف هو في تعدد وجوه قراءة القرآن لا في تأليف أجزائه من عدة لغات،

(١) الأحرف القرآنية السبعة ، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، ص ١٠٢ ، ط : دار عالم الكتب ، الرياض .

ويرده بصورة واضحة حديث عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم الذي يبين أن الخلاف وقع في تلاوة سورة واحدة هي سورة الفرقان ، وأنّ النبي ﷺ أقرأ كل واحد منهما على وجه يختلف عمّا أقرأ به الآخر .

٢- كما أنّ هذا الرأي لا يتأتى به رفع الحرج والمشقة والتيسير والتسهيل ؛ إذ كل قبيلة مكلفة شرعاً بقراءة القرآن جميعه ، وفهمه ، والعمل به ، فهو لا يحقق الغرض الذي من أجله نزل القرآن على سبعة أحرف .

٣- أيضاً فهو يخالف الواقع ؛ لأنّ العرب لا تمازج بين لغاتها في ذلك الحين في الأمور المتباينة بينهم ، قال ابن عبد البر : « وأنكروا[1] على من قال : إنّها لغات ؛ لأنّ العرب لا تركّب لغة بعضها بعضاً »[2] ؛ ولأنّه « لو كان القرآن مؤلفاً من عدة لغات كل جزء من لغة لما أمكن لأهل كل لغة أن يقرءوا منه إلا جزءاً واحداً ، وهو النازل بلغتهم ، ويدعون سائر أقسامه مضطرين لتعسر اللغات الأخرى عليهم ، وهذا ما يجعل في إنزاله على سبعة أحرف مزيد إحراج وإعسار للعرب يحول بينهم وبين لهج ألسنتهم بالقرآن »[3] .

٤- أيضا لو كانت الحروف السبعة على ما ذكروا لما تأتى اختلاف بين الصحابة في الألفاظ على ما جاءت به الروايات في اختلاف عمر

(١) يعني أكثر أهل العلم .

(٢) البرهان ١/٢٨٠ .

(٣) الأحرف السبعة ومنزل القراءات منها د . حسن ضياء الدين عتر ص١٧٣ ، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت .

وهشام ، وأبي بن كعب مع الرجلين ، وغيرهم ، فكيف يمكن أن يقع اختلاف إذا كان المترل لفظاً واحداً ، والمقروء واحداً ، فهذا القول يلزم منه رد للروايات الصحيحة الواردة في هذا الباب .

ويجاب عن الرأي الثالث : الذي يرى أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من الأمر والنهي ، والحلال والحرام ، والمحكم والمتشابه بأنّ هذا القول مردود نقلًا وعقلاً .

أما نقلا : فرواية الحديث غير صحيحة حتى يصح الاحتجاج بها ؛ كما قال ابن عبد البر : « هذا الحديث عند أهل العلم لا يثبت ؛ فأبو سلمة لم يلق ابن مسعود ، وابنه سلمة ليس ممن يحتج به ، وهذا الحديث مجتمع على ضعفه من جهة إسناده » [1] ، وقال الحافظ ابن حجر : « وقد صحح الحديث المذكور ابن حبان والحاكم ، وفي تصحيحه نظر لانقطاعه بين أبي سلمة وابن مسعود» [2] ، كما عقب الذهبي ــ رحمه الله ــ (ت: ٧٤٧هـ) على تصحيح الحاكم له وقال : (هو منقطع) [3] ؛ ومعلوم أنّ المنقطع من قبيل الضعيف الذي لا يصلح الاحتجاج به ؛ خاصة مع ورود الأدلة الصحيحة المتواترة التي دلت على أنّ المراد بالأحرف السبعة : أنّ الكلمة تقرأ على وجهين أو ثلاثة إلى سبعة توسعة للأمة ، وتيسيراً لها .

وأما عقلا : لو صحت هذه الرواية فإنّ هذه الأنواع التي ذكروها لا تصلح أنّ تكون تفسيراً للأحرف السبعة التي كان الغرض منها التوسعة واليسر في

---

(١) فتح البرّ في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ٤ / ٥٧٨ .

(٢) فتح الباري ٣٧/٩.

(٣) مستدرك الحاكم ٢٩/٢ .

القراءة ، وما ذكروه من الأنواع لا يتأتى فيه ألبتة التوسعة والتيسير ؛ لأنَّ التوسعة لم تقع في تحليل حرام ، ولا في تحريم حلال ، فيستحيل أن يقر النبي ﷺ من قرأ الأمر نهياً ، أو النهي أمراً ، أو قرأ بدل الأمثال أحكاماً ، ومن قرأ بدل الأحكام أمثالاً ، وهو أمر تنزه عنه أي عاقل ، فضلاً عن أعقل العقلاء[1] ولذا قال ابن عطية:«هذه لا تسمى أحرفاً، فالإجماع على أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال ولا تحليل حرام ، ولا في تغيير شيء من المعاني المذكورة »[2] ، وقال البغوي ـ رحمه الله ـ (ت : ٥١٠هـ): « لو كان الاختلاف بينهما في حلال أو حرام ، أو وعد أو وعيد أو خبر لم يجز أن يصدقهما جميعاً لما يتضمن ذلك من الخُلْف والتناقض ، وكلام الله سبحانه منزه عن ذلك »[3] .

فكيف نرد الروايات الصحيحة الثابتة لأجل رواية ضعيفة ؛ بل جاء في بعض الرواية ما يرد هذا المعنى الذي ذكروه فقد وقع في مسلم من طريق يونس عن أبي شهاب : « بلغني أنَّ تلك الأحرف السبعة إنَّما هي في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال وحرام »[4].

فجملة ما يَرُدُّ هذا الرأي ضعف الرواية ، وفساد المعنى الذي ذكروه ، ومعارضته لما جاء في الأدلة الصحيحة .

ويجاب عن الرأي الرابع : الذي يرى أنَّ المراد بالأحرف السبعة وجوه التغاير التي يقع فيها الاختلاف في أصناف الكلام بما يلي :

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن ص ٢٩٥ .

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٧٥، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٧٠ .

(٣) شرح السنة ٤ / ٥٠٩.

(٤) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف ، وبيان معناه ، ح رقم ٨١٩ .

١- يخلو من دليل يدل عليه ، ويخالف ظاهر الثابت من الأدلة ، لأنّ الأحاديث لا تدل على أن أوجه القراءة التي ذكروها هو ما كان يقع بين الصحابة .

٢- هذه الوجوه أغلبها متعلقة بالرسم والنواحي الكتابية ، وأغلبهم لم يكن يعرف الرسم يومئذٍ ، قال قاسم بن ثابت العوفي ــ رحمه الله ــ (ت : ٣٠٢هـ): في (الدلائل) في استبعاد هذا القول « ... لكون الرخصة في القراءات إنَّما وقعت وأكثرهم يومئذٍ لا يكتب ولا يعرف الرسم ، وإنما كانوا يعرفون الحروف بمخارجها »[1] .

٣- إن هذه الوجوه من التغاير هي وجوه تغاير القراءات السبع الموجودة اليوم ؛ وهي في حرف واحد ، فكأنَّهم يريدون أن يقولوا : إنَّ الأحرف السبعة هي القراءات السبعة ، وهذا القول من أضعف الأقوال كما سنوضح ذلك ــ بإذن الله تعالى ــ لأنَّه لو كانت هذه الأحرف تشتمل عليها المصاحف العثمانية لما كان مصحف عثمان حاسماً للنزاع في اختلاف القراءات ، وإنَّما كان حسم النزاع بجمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ، ولما كان هناك فرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان رضي الله عنهما[2] .

٤- أن وجوه التغاير اللغوية أكثر من سبعة ؛ لذا لم يتفق أصحاب هذا القول على سبعة بعينها[3] ، فالأوجه التي ذكرها ابن قتيبة مثلاً تختلف

---

(١) فتح الباري ٩/ ٣٧ .

(٢) نزول القرآن على سبعة أحرف لمناع القطان ص٨٥ ، ط : مكتبة وهبة ، القاهرة .

(٣) انظر: كتاب القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة ص١٨ ، ط : مصر

في بعضها عن الأوجه التي ذكرها أبو الفضل الرازي وابن الجزري ، فمثلاً ما عدَّه الرازي وجهاً واحداً كـــالاختلاف بالإبـــدال ، أي : جعل حرف مكان حرف آخر ، أو كلمة بأخرى ، عده ابن قتيبـــة ثلاثة أوجه ؛ وهي الأوجه الثلاثة التي ذكرها من الثالث إلى الخامس ، وما لم يعده ابن قتيبة وجهاً ؛ وهو الاختلاف في اللـــهجات بـــــ " الفتح ، والإمالة ، والإظهار ، والإدغام ، والتسهيل ، والتخفيـــف ، والتفخيم ونحوها " عده الرازي وابن الجزري وجهاً ، وقد قال ابن الجزري معلقاً على عدم ذكر هذا الوجه عند ابن قتيبة : « أنَّه قد فاته كما فات غيره أكثر أصول القراءات كالإدغام والإظهار والإخفـــاء ... »[1] ، وهذا يرد قولهم بأنهم تتبعوا أوجه التغاير فوجدوها سبعة لا غير ؛ لأنَّه لا مانع بالتتبع والاستقراء من زيادة أوجه أخرى .

٥- كما أنَّ الغرض من الأحرف السبعة رفع الحرج والمشقة عن الأمة ، والتيسير عليها ، والمشقة غير ظاهرة في إبدال الفعل المبني للمعلوم بالفعل المبني لما لم يسم فاعله أو العكس ، ولا في إبدال فتحة بضمة ، أو حرف بآخر ، أو تقديم كلمة أو تأخيرها أو زيادة كلمة أو نقصانها ، ولا يوجد فيها عسر يستدعي تغيير الحرف مثل قراءة الاسم بالإفراد والجمع نحو قوله تعالى : ﴿ **وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍ** ﴾[البقرة:١٨٤] و(مساكين)، أو الاختلاف بالنقص والزيادة نحو قوله تعالى:﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ** ﴾

(١) النشر في القراءات العشر ١ / ٢٩ .

[آل عمران:١٣٣] و(سارعوا) ، أو التقديم والتأخير ، نحو ﴿ وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٩٥] ، فإنّ القراءة بإحداهما دون الأخرى لا توجب مشقة يسأل النبي ﷺ منها المعافاة ، وإنّ أمته لا تطيق ذلك ، ويراجع جبريل مراراً [١] ؛ لذا فإنّنا نستبعد أن يكون هذا هو المراد بالأحرف السبعة وقد انتصر لهذا الرأي من العلماء المعاصرين الشيخ محمد بخيت الميطعي مفتي الديار المصرية ـــ رحمه الله ـــ (ت: ١٣٥٤هـــ) في كتابه " الكلمات الحسان في الأحرف السبعة وجمع القرآن" ، والشيخ عبد العظيم الزرقاني في كتابه " المناهل" ؛ لكن لا يخفى ضعفه عند التحقيق والنظر .

ويجاب عن الرأي الخامس: الذي يرى أنّ العدد سبعة لا مفهوم له بأن الأحاديث تدل بنصها على حقيقة العدد وانحصاره ، كما جاء في الحديث : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » ، وغيرها من الأحاديث ترد هذا القول ، قال ابن الجزري : « وهذا جيِّد لولا أن الحديث يأباه فإنّه ثبت في الحديث من غير وجه أنّه أتاه جبريل بحرف واحد ، قال له ميكائيل : استزده ، وأنه سأل الله التهوين على أمته ، فأتاه على حرفين فأمره ميكائيل بالاستزادة ، وسأل الله التخفيف فأتاه بثلاثة ، و لم يزل كذلك حتى بلغ سبعة ، وفي حديث أبي بكري: « فنظرت إلى ميكائيل فسكت فعلمت أنه انتهت العدة » ؛ فدل على إرادة حقيقة العدد

(١) المدخل لدراسة القرآن ص١٧٥ ، ١٧٦ .

وانحصاره »[1] ، وأن التدرج الذي جاء في الحديث من حرف إلى حرفين إلى ثلاثة إلى سبعة لا يكون له معنى إذا لم يكن تحديد السبعة مراداً .

ويجاب عن الرأي السادس : الذي يرى أنّ المراد بالأحرف السبعة القراءات السبع بما يلي :

١- أنّ الأحرف السبعة غير القراءات ، قال أبو شامة -رحمه الله- : «ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث ؛ وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وإنّما يظن ذلك بعض أهل الجهل »[2] . وقال ابن تيمية ــ رحمه الله ــ (ت: ٧٢٨هـ) : « لا نزاع بين العلماء المعتبرين أنّ الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أنّ القرآن أنزل عليها ليست قراءات القراء السبعة المشهورة ؛ بل أول من جمع ذلك ابن مجاهد ــ رحمه الله ــ (ت : ٣٢٤هـ) »[3] ؛ ولذلك لام كثير من العلماء ابن مجاهد[4] ، كما قال أبو العباس بن عمار ــ رحمه الله ــ (ت : ٤٤٠هـ) : « لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له ، وأشكل الأمر على العامة بإيهام كل من قل نظره أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر ، وليته إذ اقتصر نقص عن السبعة أو زاد ليزيل الشبهة »[5] .

---

(١) النشر في القراءات العشر ١ / (٢٧ ، ٢٨) .

(٢) فتح الباري ٩ /٣٩ .

(٣) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٩١/١٣ ، ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة النبوية.

(٤) هو: أبو بكر أحمد بن مجاهد (ت : ٣٢٤هـ) . وهو أول من نوّه بالقراءات السبع .

(٥) فتح الباري ٩/٤٠ .

فهذا القول مردود ؛ لأنّه مخالف لإجماع الأمة ، ولأنّه لا يمكن أن تكون القراءات السبع المشهورة هي المرادة ، وقد عرفت سبعاً من قبل أنّ رواهما المشهورين سبعة ؛ وهو أمر علم بعد زمن النبوة بثلاثة قرون تقريباً على يد ابن مجاهد ، وحصر القراءات الثابتة على سبعٍ إنّما هو أمر اتفاق ، وهنالك من القراءات ما هو صحيح غير هذه السبع ، فقد قال مكي بن أبي طالب : « ويلزم من هذا أنّ من خرج عن قراءة هؤلاء السبعة مما ثبت عن الأئمة وغيرهم ووافق خط المصحف أن لا يكون قرآناً ، وهذا غلط عظيم ، فإنّ الذين صنفوا القراءات من الأئمة المتقدمين كأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي جعفر الطبري ، وإسماعيل بن إسحاق ، والقاضي قد ذكروا أضعاف هؤلاء »[1] . والذي عليه الأئمة في القراءة إذا صح سندها ، ووافقت وجهاً من وجوه العربية ، ووافقت خط المصحف ، تعتمد وتقبل وإلا عدت من الشواذ .

وهذا القول كذلك يستبعد أن يكون قد قاله الخليل بن أحمد وذلك للآتي :

أ- أنّ القراءات السبع إنّما عرفت عن ابن مجاهد واشتهرت بعده ، وابن مجاهد متوفى سنة ٣٢٤هـ ، والخليل متوفى سنة ١٧٥هـ .

فكيف ينسب للخليل قول ذكر بعده ؟

ب- أنّ العلماء عابوا من قال بهذا القول ونسبوه إلى الجهل ، وهذا لا يتناسب ومكانة الخليل السامية .

ج- وأيضاً إن القول المنسوب للخليل لم يوثق من كتبه وقد نسبه الزركشي إليه في البرهان بصيغة التمريض فقال : " وحكي عن الخليل بن أحمد

---

(١) انظر: فتح الباري ٩/ ٣٩ ، ٤٠ .

في حين أنّه صرح بالقائلين بالأقوال الأخرى ، وقد ذكر الدكتور مهدي المخزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي في مقدمة تحقيقهما لكتاب العين للخليل بن أحمد أن هنالك أموراً كثيرة تنسب للخليل وهي ليست له [1].

د- وحقيقته أنه وهم وسوء فهم لكلام الخليل عندما فسر الحرف بالقراءة فيقال : " في حرف ابن مسعود أي قراءته ، وهذا كلام صحيح لغة ومعنى ، ومغاير لتفسير الأحرف السبعة بالقراءات السبع المشهورة المعروفة المحددة .

* * *

(١) انظر : كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق دكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي ١/ ٢٠ ــ ٢٧ ، ط: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

المبحث الثالث : وجود الأحرف السبعة، والحكمة من نزول القرآن عليها :

المطلب الأول: أقوال العلماء في وجود الأحرف السبعة اليوم في القرآن الكريم :

ذهب جمهور العلماء من السلف والخلف ، وأئمة المسلمين إلى أنّ القرآن الكريم جمع على حرف واحد ، وجاء رسمه محتملًا لبعض الأحرف الستة الباقية ، جامعاً لما جاء في العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمناً لها لم يترك حرفاً منها ، قال ابن حجر : « والحق أن الذي جمع في المصاحف هو المتفق على إنزاله ، المقطوع به ، المكتوب بأمر النبي ﷺ ، وفيه بعض ما اختلف فيه من الأحرف السبعة لا جميعها ؛ كما وقع في المصحف المكي ﴿ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ وفي غيره بحذف (من) ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار من عدة واوات ثابتة في بعضها دون بعض ، وعدة هاءات ، وعدة لامات ونحو ذلك ، وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معاً ، وأمر النبي ﷺ بكتابته لشخصين ، أو أعلم بذلك شخصاً واحداً وأمره بإثباتهما على الوجهين ، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلاً ، فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف في زمن عثمان وكفر بعضهم بعضاً اختار الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته وتركوا الباقي »[1] ، قال ابن تيمية : « ... فلما رأى الصحابة أنّ الأمة تفترق وتختلف وتتقاتل إذا لم يجتمعوا على حرف واحد ، اجتمعوا على ذلك اجتماعاً سائغاً ، وهم معصومون أن يجتمعوا على ضلالة ، ولم يكن في ذلك ترك واجب

---

(١) فتح الباري ٩ / ٣٨ .

ولا فعل محظور »[1] ، وقال ابن جرير الطبري : « إنَّ إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ـــ رحمه الله ـــ من بعضهم بعد الإسلام ، والدخول في الكفر بعد الإيمان ... على مصحف واحد ، وحرف واحد ، وحرق ما عدا المصحف الذي جمعهم عليه ، وعزم على كل من كان عنده مصحف مخالف الذي جمعهم عليه أن يحرقه ، فاستوثقت له الأمة على ذلك بالطاعة ، ورأت فيما فعل من ذلك الرشد والهداية ، فتركت القراءة بالأحرف الستة ، التي عزم عليها إمامها العادل في تركها ، ونظراً منها لأنفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها ؛ حتى درست من الأمة معرفتها ، وتعفت آثارها »[2] وقد عللوا هذا القول بأنَّ الأحرف السبعة كانت لضرورة؛ وهي التيسير على الأمة في الوقت الأول لغربتهم على القرآن، وغرابة القرآن عليهم ، فنظراً لحاجتهم الأمية تعددت لهم وجوه القراءة ولكن بعد أن ساد العلم ، وتداخلت القبائل العربية فيما بينها وانصهرت لحد كبير لغاتها نتيجة للهجرة والجوار والجهاد وغيرها ؛ ارتفعت الحاجة لتلك الأحرف الستة ، وأبقى الخليفة الراشد عثمان ﷺ الناس على حرف واحد ؛ وهو ما عليه الناس اليوم ، قال النووي ـــ رحمه الله ـــ (ت: ٦٧٧هـــ) ناقلاً عن الطحاوي : «إن القراءات بالأحرف السبعة في بادئ الأمر خاص لضرورة دعت إليه لاختلاف لغة العرب، ومشقة أخذ جميع الطوائف بلغة واحدة ، فلما كثر الناس والكتّاب ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم الأحرف السبعة ، وعاد ما يقرأ به إلى حرف واحد »[3] .

---

(١) مجموع الفتاوى١٣/ ٣٩٦ ، ٣٦٧ .

(٢) جامع البيان ١ /٢٨ .

(٣) صحيح مسلم شرح النووي ٨٦/٦ ، ط : دار الكتب العلمية . بيروت ، والبرهان ١ / ٢٨٣ .

وذهب جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين كما ذكر ذلك السيوطي[1] إلى خلاف ذلك ؛ وهو القول بوجود الأحرف السبعة اليوم في المصحف ؛ معللين قولهم بأنّ الأمّة لا يمكن أن تهمل في شيء منه ، لأنّه كلام الله ، ولا يمكن للصحابة أن يضيعوه .

وقالوا: إن الحكمة من الأحرف السبعة التيسير والتوسعة على الأمة ، والتيسير لا يمكن أن يرتفع .

وقد رد الجمهور على هذا القول بما يلي :

١- بأنّ الأمة أمرت بحفظ القرآن ، وخيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، فإذا قرأته أو حفظته بأي حرف منها فقد فعلت الواجب في حفظه ؛ لأنّه لا يجب عليها ولا يستحب القراءة والحفظ بالأحرف الأخرى ، لأنها كانت من باب الرخصة والتوسعة قال ابن جرير الطبري : « الواجب عليهم من الفعل ما يؤدُّون به الواجب ، وهو أحد هذه الأحرف ، فإذا حفظوه أو نقلوه بواحد منها فقد فعلوا ما كلفوا به »[2] .

٢- المصلحة لاجتماع الكلمة وقطع دابر الخلاف الذي كاد يذهب بريح الأمة كانت تتطلب ذلك ، وهو جمع الناس على حرف واحد ومصحف واحد ، وقد رأت الأمة بأسرها في ذلك الحين طاعة أميرها الراشد عثمان بن عفان ﷺ الذي عزم عليها بترك الأحرف الأخرى ، والالتزام بحرف واحد لما رأت في فعله هذا من صلاح لها وللأجيال

---

(١) الإتقان ١/١٧٥ .

(٢) انظر: جامع البيان ، لابن جرير الطبري ١/٢٨.

التي تأتي من بعدها ؛ حتى اندثرت تلك الأحرف ، وعفت آثارها ، وأصبح اليوم لا يعرف منها شيء ، وقد علل ذلك ابن القيم – رحمه الله – (ت : ٧٥١هـ) بقوله : «فلما خاف الصحابة – رضي الله عنهم – على الأمة أن يختلفوا في القرآن ، ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك ، ومنعوا الناس من القراءة بغيره ، وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت ، وكان في سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت ، ويُطمع فيهم العدو فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد ، فتركَ بقيةَ الطرق : جاز ذلك ، ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود ، وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة »[1] .

٣- كما أنَّ العلة التي من أجلها نزلت الرخصة كانت قد زالت ، قال الطحاوي : «وإنَّما كان ذلك رخصة لما كان يتعسر منهم التلاوة بلفظ واحد، لعدم علمهم بالكتابة والضبط وإتقان الخط ، ثم نسخ بزوال العذر ، وتيسير الكتابة والخط ، وبمثل هذا قال ابن عبد البر ، والباقلاني ، وآخرون »[2] أي :كان الأيسر على الناس حملهم على حرف واحد ؛ وهو ما استقر عليه القرآن في العرضة الأخيرة ؛ خاصة وقد كثر عدد الداخلين في الإسلام من غير العرب .

---

(١) الطرق الحكميّة في السّياسة الشرعيّة لابن قيم الجوزية ص١٨ ، ١٩ ، ط: دار الكتب العلمية، بيروت .

(٢) الإتقان ١/١٦٨ .

المطلب الثاني : الحرف الذي عليه الناس اليوم في المصاحف :

هو حرف زيد بن ثابت الذي سمعه في العرضة الأخيرة كما هو رأي الطبري ، وابن عبد البر ، والشاطبي ــ رحمه الله ــ (ت : ٤٩٠هـ) ، وابن تيمية وغيرهم من أئمة المسلمين ، قال ابن الجزري : « وهذا القول هو الذي يظهر صوابه ؛ لأنّ الأحاديث الصحيحة ، والآثار المشهورة المستفيضة تدل عليه وتشهد له » [(١)].

قال ابن عبد البر : « وأما حرف زيد بن ثابت فهو الذي عليه الناس اليوم في المصاحف وقراءتهم من بين سائر الحروف ؛ لأنّ عثمان جمع المصاحف عليه بمحضر جمهور الصحابة » [(٢)].

وروى الحاكم عن سمرة - رضي الله عنه- قال : « عرض القرآن على رسول الله ﷺ عرضات فيقولون إن قراءتنا هذه العرضة الأخيرة » [(٣)].

وقال البغوي في شرح السنة : «المصحف الذي استقر عليه الأمر هو آخر العرضات على رسول الله ﷺ ، فأمر عثمان بنسخه في المصاحف ، وجمع الناس عليه ، وأذهب ما سوى ذلك قطعاً لمادة الخلاف ، وصار ما يخالف خط المصحف في حكم المنسوخ والمرفوع كسائر ما نسخ ورفع ، فليس لأحد أن يعدو في اللفظ ما هو خارج عن الرسم » [(٤)].

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/ ٣١ .

(٢) فتح البرّ في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر ٤ / ٥٩٧، ٥٩٨ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/٢٣٠ وصححه وأقره الذهبي ، ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، والهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ١٥١ .

(٤) انظر : شرح السنة للإمام البغوي ٤/٢٢٥ ، ٢٢٦ ، وفتح الباري ٩/٣٩ ، والمرشد الوجيز ص١٤٤، ١٤٥.

قال أبو عبد الرحمن السلمي ـــ رحمه الله ـــ (ت : ٧٢هـــ) : « كانت قراءة أبي بكر وعمر وعثمان وزيد بن ثابت والمهاجرين والأنصار واحدة ؛كانوا يقرءون القراءة العامة ؛ وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه ، وولاه عثمان كتبة المصحف »[1] .

فيظهر لنا من هذه الأقوال بأنّ زيد بن ثابت أحد أبرز كتاب الوحي للنبي ﷺ كان قد حضر العرضة الأخيرة من القرآن ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، وجمع القرآن على ما سمعه في العرضة الأخيرة ، فجمع القرآن على حرف واحد هو حرف زيد بن ثابت ﷺ لكن جاء خطه محتملًا لأكثر من حرف ، قال مكي بن أبي طالب : « فالمصحف كتب على حرف واحد وخطه محتمل لأكثر من حرف ؛ إذ لم يكن منقوطاً ولا مضبوطاً ، فذلك الاحتمال الذي احتمل الخط هو من الستة الأحرف الباقية »[2] .

المطلب الثالث : حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف :

هنالك العديد من الحكم لنزول القرآن على سبعة أحرف من أبرزها ما يلي :

١- تيسير القراءة والحفظ والفهم على قوم يصعب عليهم النطق بلغة لم تألفها ألسنتهم وطباعهم ، وهم أميون لا يقرءون ولا يكتبون شبوا على لغة قومهم ولا يرتضون بها بديلاً ، وتغيير العادة المستحكمة في النطق أمر عسير حتى على المتعلمين فضلاً عن الأميين ، وقد سبق الحديث عن هذا في فوائد وشواهد .

---

(١) البرهان في علوم القرآن ١/٢٩٩ ، وشرح السنة للإمام البغوي ٤ / ٢٢٥ ، ٢٢٦.

(٢) فتح الباري ٩/ ٢٤ ، ٢٥ .

٢- مراعاة لظروف الحياة القبلية في الجزيرة العربية القائمة على التعصب الكامل لكل ماله صلة بالقبيلة من نسب وأرض ومصلحة ، ولسان يصعب التحول منه بين يوم وليلة.

٣- توثيق صلة القبائل العربية بالقرآن الكريم ، وتحقيق مزيد استئناس وانسجام تام بينهم وبين القرآن الكريم وذلك من خلال مخاطبتهم بخطاب تألفه قلوبهم وألسنتهم ، وهذا من دقائق فقه الدعوة ، وهو مخاطبة المدعو بما يحب أن يستمع له من لغته .

٤- إعجاز الفطرة اللغوية عند العرب ؛ فهو لم يكن إعجازاً للسان دون آخر ؛ وإنما كان إعجازاً للفطرة اللغوية نفسها كل بلهجته ولغته ، فكل عربي يجد في القرآن ما يوافق لحنه الفطري ولهجة قومه ؛ مع بقاء التحدي والإعجاز ، وعجز الجميع عن معارضته .

٥- فيه بداية لتوحيد لغات العرب على أفصح مختاراتها ؛ وهي بداية في التدرج لجمع الأمة الإسلامية على لسان واحد يوحد بينها .

٦- فيه البراهين الساطعة والأدلة القاطعة على أنّ هذا القرآن كلام الله ، وعلى صدق من جاء به ، وهو الرسول ﷺ ، فإنّ هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقض في المقروء أو اختلاف فيه ؛ بل القرآن كله على تنوع قراءاته يصدق بعضه بعضاً ، قال الأديب مصطفى صادق الرافعي: « إنّ هذه الأحرف الكثيرة ، والقراءات العديدة متسقة ، بعضها يؤيد بعضاً من غير اختلاف يودي إلى تضاد في المعاني والدلائل ، أو تناف في الأحكام والأوامر ؛ وهذا يبرهن على أن القرآن الكريم من لدن حكيم خبير

لقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: من الآية٨٢] »[1] .

٧- في نزول القرآن على سبعة أحرف تشريف لهذه الأمة ، وبيان لسعة رحمة الله وعنايته بها بأن يسَّر عليها كتابه غاية ما يمكن أن يكون من اليسر .

٨- كما فيه كذلك مزية للقرآن الكريم على سائر الكتب السماوية التي كانت تنزل على حرف واحد جملة واحدة ، ونزل القرآن على سبعة أحرف منجماً على قلب النبي ﷺ .

٩- بقاء جزء من الأحرف السبعة اليوم يقرأ به في أوجه القراءات المختلفة فيه حفظ لأهم خصائص اللُّغة العربية من الضياع ، وفي المحافظة على لغة القرآن بخصائصها إبقاء للإعجاز اللغوي بارزاً من كلِّ الجوانب .

١٠- تعدد الألفاظ بما يسهل فهمه على القبائل العربية على حسب استعمال كل قبيلة للفظة العربية للمعنى الواحد يدل على أنَّ تدبر القرآن الكريم وتيسير فهم معانيه من أبرز المقاصد التي أنزل الله من أجلها هذا الكتاب ؛ لأنَّه ربما كان يستصعب على الواحد منهم فهم المعنى لأن اللفظة غير مستعملة في قبيلته وبيئته التي نشأ فيها ، فيجد في الأوجه الأخرى ما يسهل عليه فهم المراد حسب ما يتفق مع ذوقه وما اعتاده سمعه .

---

(١) إعجاز القرآن ص٤٧ .

١١- زيادة الأجر والثواب للمجتهدين من أبناء هذه الأمة ، فهنالك من العلماء من ظلُّوا يبحثون في هذا الموضوع ويهتمون به لـــسنوات عديدة ، فهذا يدل على اهتمامهم بالقرآن الكريم ، واتصال فكرهم به ، ولأنّ هذه الأحرف نتج عنها اختلاف في أوجه القراءات وهذا يتطلب جهداً مضاعفاً للإلمام بها والمحافظة عليها ، ويترتب عليه أجر وثواب عظيم .

* * *

نتائج البحث :

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى النتائج الآتية :

١- موضوع الأحرف السبعة من الموضوعات التي وجدت عناية عند العلماء المختصين بالدراسات القرآنية على مر العصور ، وعلى الرغم من اختلاف أقوالهم كانت غنية بمناقشات دقيقة تفيد طالب العلم في التمكن من ملكة البحث والترجيح بين الأقوال .

٢- قد تواترت الأدلة من السنة النبوية على نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف ؛ وهذا محل إجماع بين العلماء ؛ لكنهم اختلفوا اختلافاً عظيماً في المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن .

٣- الراجح في المراد بالأحرف السبعة ـــ والله أعلم ـــ أنها سبع لغات من لغات العرب في المعنى الواحد نحو " أقبل وهلم ، وعجل وأسرع " فهي ألفاظ مختلفة لمعنى واحد ، أو ألفاظ مختلفة لمعانٍ مختلفة لكن اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ، نحو (ننشزها) و(ننشرها) ، أو اختلاف في كيفية النطق باللفظ ذي المعنى الواحد ، نحو (وهُو) ، (وهْو) ، وذلك : لدلالات الأحاديث عليه ، وهو قول جمهور العلماء ؛ ولأنَّه يتفق مع معنى الحرف في اللغة ، ويحقق مبدأ اليسر ، والأقوال الأخرى لا تخلو من ملاحظات كثيرة عليها .

٤- في نزول القرآن على سبعة أحرف تيسير على الأمة وتهوين عليها ؛ لأنَّ ترك العادة المستحكمة في اللسان أمر صعب يحتاج إلى وقت ومران ؛ كما فيه بداية لتوحيد الأمة الإسلامية على أعظم مختاراتها ، وأنَّ هذا التخفيف وقع بعد الهجرة عندما دعت الحاجة إليه .

٥- اختلاف الأحرف السبعة كان في كيفية النطق بالألفاظ ذات المعنى الواحد ، أو في طرق أداء اللفظ مع اتفاق المعنى ، أو في اختلاف الألفاظ و المعاني ولكنها متوافقة غير متضادة ، و تلك الأحرف على اختلافها هي كلام الله ؛ لا دخل للبشر فيها ، ومن قرأ بأي حرف منها فقد أصاب ، لأنَّها كانت على سبيل الرخصة والاختبار من غير إلزام بواحد منها .

٦- في نزول القرآن على سبعة أحرف مراعاة لظروف الحياة القبلية في الجزيرة العربية القائمة على التعصب الكامل لكل ماله صلة بالقبيلة ، وفيه توثيق لصلة تلك القبائل بالقرآن الكريم الذي جاء موافقاً لفطرهم اللغوية ، كما فيه إعجاز لهم على اختلاف لغاتهم ولهجاتهم ، وهو دليل قاطع وبرهان ساطع على أنَّه كلام الله ، وعلى صدق من جاء به ، فهو مع اختلاف ألفاظه لا تضاد فيه بين معنى ومعنى ، كما فيه تشريف لهذه الأمة وبيان لسعة رحمة الله بها ، وفيه خاصية للقرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية التي نزلت على حرف واحد وجملة واحدة .

٧- جمع عثمان ﷺ الناس في عهده على حرف واحد لما دعت الحاجة إلى ذلك، ولكن جاء رسمه محتملًا لبعض الأحرف الستة لأنَّه لم يكن مشكلاً ولا مضبوطاً .

٨- بجمع عثمان ﷺ الناس على حرف واحد فعل الواجب في حفظ القرآن الكريم ؛ لأنَّ مصلحة الاجتماع وقطع دابر الخلاف كانت

تتطلب ذلك ، خاصة والعلة التي من أجلها نزل القرآن على سـبعة أحرف كانت قد زالت .

٩- هذا البحث عبارة عن توضيح وتقريب لتصور هذا الموضوع ، إذ لا مجال للقدح من خلاله في القرآن ، وقد سبقت عناية الله – تعالى- وصدق وعده بحفظ كتابه على ما هو عليه الآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ [الحجر:٩] ، سواء أكان على الأحرف السبعة أم هو على حرف واحد ، و الحمد الله أولًا وآخراً .

* * *

فهرس المصادر والمراجع :

١- **القرآن الكريم** .

٢- **الإتقان في علوم القرآن** ، للإمام جلال الدِّين السُّيُوطِّي ، ط : مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

٣- **إتقان البرهان في علوم القرآن** ، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس ، ط : دار الفرقان ، عمان ـ الأردن ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م .

٤- **الأحرف السبعة ومنزل القراءات منها** د . حسن ضياء الدين عتر ، ط : دار البشائر الإسلامية ، بيروت. ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٥- **الأحرف القرآنية السبعة** ، د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي ، ط: دار الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٦- **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية** ، لمصطفى صادق الرافعي ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ .

٧- **البرهان في علوم القرآن**،للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، خرج أحاديثه وقدم له وعلّق عليه مصطفى عبد القادر عطا ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، طبعة ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٨- **تأويل مشكل القرآن** ، لابن قتيبة ، إعداد ودراسة عمر محمد سعيد ، إشراف د . عبد الصبور شاهين ، ط : مركز الأهرام للترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ـ ١٩٨٩م .

٩- **تقريب النشر في القراءات العشر** ، للإمام ابن الجزري ، دراسة وتحقيق علي عبد القدوس عثمان وزير ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م .

١٠- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، ط : دار الفكر ، بيروت ، طبعة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨م .

١١- **الجامع لأحكام القرآن** ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ، راجعه وضبطه وعلق عليه محمد إبراهيم الحفناويّ ، وخرج أحاديثه محمود حامد عثمان ، ط : دار الحديث ، القاهرة ، طبعة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٢- **حديث الأحرف السبعة دراسة لإسناده ومتنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية** ، د. عبد العزيز عبد الفتاح القارئ ، ط : دار النشر الدولي ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

١٣- **سنن ابن ماجه** لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، ط : دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ١٩٧٥م .

١٤- **سنن أبي داود** ، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٥- **سنن الترمذي** ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، دار الفكر ، بيروت ، طبعة ١٩٨٣م .

١٦- **سنن الدارمي**، للإمام أبي عبد الله عبد الرحمن بن بهرام الدارمي ، ط : دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبعة ١٩٨٧م .

١٧- **سنن النسائي**، للحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على النسائي ، ط : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، طبعة ١٩٨٦م .

١٨- **شرح السنة** للإمام البغوي ، تحقيق زهير الشاويش ، وشعيب الأرناؤوط ، ط : المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ــ ١٩٨٣م

١٩- **شرح سنن النسائي** ، للحافظ جلال الدين السيوطي ، ط : دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٤٨ هـ ــ ١٩٣٠م .

٢٠- **صحيح البخاري** ، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، دار القلم ، بيروت ، طبعة ١٩٧٨م .

٢١- **صحيح مسلم** ، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ط : إحياء التراث العربي ، بيروت ، طبعة ١٩٧٢ م .

٢٢- **صحيح مسلم شرح النووي** ، ط : دار الكتب العلمية . بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م .

٢٣- **الطرق الحكميّة في السّياسة الشرعيّة** ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

٢٤- **الغاية في القراءات العشر** ، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصفهاني ، دراسة وتحقيق محمد غياث الجنباز، ط: دار الشواف ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .

٢٥- **فتح الباري**، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط : دار السلام ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م .

٢٦- **فتح البرّ في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبد البر** ، ومعه فتح المجيد في اختصار تخريج أحاديث التمهيد، رتبه واختصر تخريجه الشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي ، ط : مجموعة التحف النّفائس الدّولية ، الرياض ، الطبعة الأولى١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م .

٢٧- **فضائل القرآن** لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق أبي إسحق الجويني الأثري، ط: مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

٢٨- **فنون الأفنان في عيون علوم القرآن**، للعلامة أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق د . حسن ضياء الدين عتر ، ط : دار البشائر الإسلامية ، بيروت ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧م .

٢٩- **القاموس المحيط** ، للإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزأبادي، ط: مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ، طبعة ١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩م .

٣٠- **القراءات واللهجات** ، عبد الوهاب حمودة ، ط :مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ .

٣١- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق وتعليق ودراسة الشيخ عادل أحمد عبد الجواد ، والشيخ علي محمد معوّض ، ط : مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م .

٣٢- **لسان العرب** ، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي ، ط : دار صادر ، بـيروت ، الطبعة الأولى .

٣٣- **اللهجات العربية في القراءات القرآنية** ، د . عبده الراجحي ، ط : دار المعرفـة الجامعية . الإسكندرية طبعة ١٩٩٨ م

٣٤- **اللهجات العربية** ، د. إبراهيم أنيس ، ط: مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٧٣م .

٣٥- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر ، ط : دار الفكر ، بيروت، طبعـة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٣٦- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمـد ابن القاسم ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنـورة ، طبعة عام ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٥م .

٣٧- **المدخل لدراسة علوم القرآن** ، د. محمد بن محمد أبو شهبة ، ط: مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩٢م .

٣٨- **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز** ، لأبي شامة المقدسـي ، ط: دار صادر ، بيروت ، طبعة ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م .

٣٩- **المستدرك على الصحيحين**، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيـسابوري، ط : دار المعرفة ، بيروت .

٤٠- **المسند للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبـل الـشيباني** ، ط : المكتـب الإسلامي ـ بيروت ، طبعة ١٩٨٥م .

٤١- **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، لمحمد عبد العظيم الزرقـاني ، خـرج آياتـه وأحاديثه ووضع حواشيه أحمد شمس الدين ، ط : دار الكتب العلميـة بـيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٤٢- **نزول القرآن على سبعة أحرف** ، لمناع القطان ، ط: مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٤٣- **النشر في القراءات العشر**، للإمام الحافظ أبي الخير محمد بن محمد ، الشهير بابن الجزري، ط: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

* * *